الفهارس 1

الحياة السياسية

للإمام الجواد عليه السلام

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الثانية

2004 م. - 1425 هـ . ق

المركز الإسلامي للدراسات

الحياة السياسية

للإمام الجواد عليه السلام

السيد جعفر مرتضى العاملي

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين، من الأولين والآخرين، إلى قيام يوم الدين.

وبعد..

فهذه نبذة قصيرة، عن الحياة السياسية للإمام التقي الجواد «عليه السلام»، لم أقصد فيها استيعاب كل ما يرتبط بهذا الموضوع؛ فإن ذلك يستدعي دراسة شاملة، تستوعب الوضع السياسي، والإجتماعي، والفكري، الذي عايشه صلوات الله وسلامه عليه، وتعامل معه، وسجل موقفاً تجاهه.

كما أن دراسة مستوعبة كهذه تفرض على الباحث أن يسلط الأضواء الكاشفة على سائر كلماته ومواقفه عليه الصلاة والسلام، وعلاقاته بمواليه، وبأصحابه وبشيعته، وكيفية تعامله معهم، لاسيما ما يرتبط بتنظيم أمورهم، ومعالجة مشاكلهم فيما بينهم، والتي ترتبط بالمهمات الموكلة إليهم..

نعم.. ولا يجوز الإقتصار على دراسة بعض الأحداث البارزة، والمواقف المفصلية والكبيرة، التي صدرت عن الإمام «عليه السلام»، فإن ما نجده منها في مدة إمامته «عليه السلام» مثلاً ربما لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، ولا يمكن تلخيص حياته السياسية بها، مع ملاحظة أنها ربما يقال فيها: إنها كانت خاضعة لعوامل مرحلية، فرضت نفسها على الموقف وصاحبه وعلى سائر الأطراف المستهدفة فيه..

نعم.. إن الاقتصار على ذلك معناه: إهمال وتجاهل الجانب الأهم، الذي من شأنه أن يوضح لنا: كيف يمكن أن تكون كل حياة الإنسان جهاداً ونضالاً وتحدياً لكل مظهر من مظاهر الطاغوت، وكيف يمكن أن تكون كلها تسير باتجاه الهدف السامي، ومن أجله، وفي سبيله..

إن حياتهم «عليهم السلام» السياسية هذه، هي التي يجب دراستها، والتدقيق فيها، والإستفادة منها.. ولابد من تسليط الأضواء الكاشفة على مختلف جوانبها لكي نفهمهم بشمولية وعمق، يتناسبان مع حجم وأهمية الدور الذي نذر الأئمة «عليهم السلام» أنفسهم له، وكرس له الإمام الجواد «عليه السلام» حياته، وأخذ على عاتقه القيام به، في فترة متميزة، تعتبر من أهم الفترات، التي عايشها الأئمة «عليهم السلام»، سياسياً، وفكرياً، وإجتماعياً.

ولكن هذا البحث الموجز الذي بين يدي القارئ الكريم، لا يمكن أن يقوم بهذا الدور، ويؤدي هذا الواجب، لأني توخيت منه الإشارة

الموجزة إلى أمور معينة، رأيت فيها من الحساسية والأهمية، ما يجعلها ـ فيما أرى ـ تستطيع أن تكون مدخلاً مناسباً لدراسة أوسع، وأشمل، وأعمق، وأتم للحياة السياسية لهذا الإمام العظيم، الإمام محمد التقي الجواد عليه آلاف التحية والصلاة والسلام..

على أن من الواضح: أن البعد العقائدي، لا ينفصل عن البعد السياسي، في مواقف الأئمة من الحكام، ومواقف الحكام من الأئمة «عليهم السلام»، بل هما توأمان شقيقان، كل منهما يؤثر بالآخر، ويتأثر به..

ولأجل ذلك تجدنا مضطرين لطرح قضية الإمامة على أنها المحور والأساس في الموقف السياسي منهم ولهم عليهم الصلاة والسلام، كما أن الموقف السياسي لهم ومنهم، يستبطن في مضمونه وفي واقعه قضية الإمامة، ويتفاعل معها..

وأخيراً.. فإنني أرجح لمن يريد أن يطالع هذا البحث، إذا أراد التوسع في معرفة الظروف التي تميز تلك الفترة، أن يراجع كتابنا: **«الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام»**، فعساه يكون نافعاً في هذا المجال..

والله أسأل أن ينفع بما كتبت، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، ويجعل ثوابه لشهداء الإسلام الأبرار في إيران الإسلام والثورة، وفي لبنان، وبالأخص في جبل عامل الجريح، وغير ذلك من بقاع العالم الإسلامي، التي تشهد هجمة شرسة، وحاقدة، من كل قوى الكفر والإستكبار العالمي

البغيض.

والله هو الموفق والمسدد.. وهو المعين والهادي..

إيران ـ قم المشرفة في 29 جمادى الأولى1405 هـ . ق.

جعفر مرتضى الحسيني العاملي

الفهارس 9

الفصل الأول:

مـمـهــدات

الفهارس 11

التخطيط.. في خدمة الرسالة:

بعد أن ارتكب الحكم الأموي البغيض جريمته النكراء، والبشعة، في حق الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وفي حق أبنائه، وأهل بيته، وصحبه الأبرار، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.. صعَّد بشكل مثير وخطير من ممارساته الهادفة لنسف خط الإمامة الإلهية، المتمثل في أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة عليهم الصلاة والسلام.. وتهدف أيضاً إلى استئصال، واغتيال كل العاملين في هذا الخط، أو المتعاطفين معه، أياً كانوا، وحيثما وجدوا..

الإمام السجاد عليه السلام في مواجهة الردة:

وقد استطاع الإمام السجاد عليه الصلاة والسلام، الذي واجه الردة عن الخط الإسلامي الصحيح على أوسع نطاق، حيث لم يكن يعترف بإمامته في وقت ما سوى ثلاثة أشخاص، حسبما روي[1] ـ

(1) هم: أبو خالد الكابلي، ويحيى ابن أم الطويل، وجبير بن مطعم (ولعل الصحيح: حكيم بن جبير) ثم إن الناس لحقوا وكثروا. راجع: ترجمة هؤلاء في كتب الرجال والتراجم.

استطاع ـ أن يبعث النور، ويزرع بذرة الخير من جديد، وأن يتابع المسيرة، من خلال تركيز خط الإمامة في الأمة، حتى تمكن أخيراً من تهيئة الظروف والمناخات الملائمة لقيام نهضة دينية، علمية، ثقافية، وتربوية على نطاق واسع، من شأنها: أن تعرِّف الناس، كل الناس على الإسلام الحق، وعلى التعاليم الإلهية الصحيحة، التي أريد لها أن تبقى رهن الإبهام والغموض، ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره، ولو كره الكافرون..

ثم جاءت مدرسة الإمامين: الباقر والصادق عليهما الصلاة والسلام، لتكون الثمار الجنِيَّة، والنتيجة المرضية والرضية للجهود الجبارة، التي كان الإمام السجاد عليه الصلاة والسلام قد بذلها في هذا السبيل، وروتها وغذتها دماء أبي الشهداء، وصحبه الأبرار في كربلاء[1].

التركيز على قواعد ثلاث:

وقد اتجهت هذه النهضة العلمية الشاملة نحو التركيز على القواعد القرآنية الثلاث، التي أشارت إليها الآية الكريمة: **(هُوَ الَّذِي**

---

(1) راجع فيما تقدم، من أجل التعرف على جانب من الدور الذي قام به الإمام السجاد عليه الصلاة والسلام.. مقالاً لنا بعنوان: «**الإمام السجاد باعث الإسلام من جديد**» في كتابنا: «**دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام**» ج1.

بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ).. [1].

وهذه القواعد الثلاث هي:

1 ـ تعليم أحكام الدين، ونشر معارفه، عملاً بقوله تعالى: **(يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ)**..

2 ـ تعليم الحكمة، وهي معايير وضوابط من شأنها تمكين الإنسان من أن يأتي بالأمور وفق ما يريده الله تعالى، من حيث انسجام هذه الأمور مع سائر الحقائق التي لها مساس بما تؤديه من وظائف.

وهذا الأمر يستدعي: إثارة دفائن العقول، والإبتعاد عن الجمود، وإعطاء العقل والفطرة دورهما، وأصالتهما، وهذه هي: **(الْحِكْمَةَ)**.. التي أشير إليها في الآية المباركة آنفاً..

3 ـ التربية الروحية، وتصفية النفوس، وتهذيب الأخلاق، عملاً بقوله تعالى: **(وَيُزَكِّيهِمْ)**..

يضاف إلى ذلك كله: الإهتمام بتعميق روح التعبد والخضوع لأوامر الله تعالى، بهدف حفظ الدين عن التحريف والتأويل غير المسؤول.

وكان الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم يهدفون من وراء ذلك

---

(1) الآية 2 من سورة الجمعة.

إلى تهيئة الأجواء والظروف المناسبة لإقامة حكم الله سبحانه على الأرض.. فربَّوا «عليهم السلام» العلماء والحكماء، والجيل الواعي والمسؤول.. حتى أصبحت تلك الطليعة المثقفة والواعية، التي رباها الإمامان الباقر والصادق «عليهما السلام» لها تأثير قوي وواضح في التيار الثقافي العام، وهيمنة فكرية على مختلف الفئات تقريباً في الدولة العباسية، وقد استمر هذا المد الثقافي العارم حتى عهد الإمام الرضا «عليه السلام»، وبعده..

النهي عن الإذاعة:

وكانوا «عليهم السلام» يهتمون بأن يبقى عملهم ونشاطهم هذا محتفظاً بسريته التامة، فكانوا يشددون على شيعتهم في النهي عن الإذاعة، ويعتبرونها مروقاً من الدين تارة، وقتلاً عمدياً لشخص الإمام «عليه السلام»، أخرى، وسبباً للبلاء والإبتلاء بحرِّ الحديد، وبالسجون، ثالثة. إلى غير ذلك مما يجده المتتبع للأحاديث الكثيرة ويرى فيها الحدَّة الملفتة للنظر [1].

وقد وردت معظم هذه الأخبار عن الإمام الصادق «عليه السلام»، وبعضها عن الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه، وما سوى ذلك فهو

---

(1) راجع في هذه الأحاديث الكثيرة جداً: البحار ج72 ص68 حتى89 وج2 ص74 و75 و79 وسفينة البحار ج1 ص490 و491 وقصار الجمل ج1 ص225 - 227.

نزر قليل..

الإذاعة.. وآثارها:

ولكن عدم قدرة الشيعة على الكتمان، وإذاعتهم لأمرهم، وطرحهم لقضاياهم بشكل علني وسافر، ليس فقط قد ضيَّع الفرصة عليهم وعلى الأئمة «عليهم السلام».. وإنما هو قد نبَّه الخلفاء العباسيين لحقيقة ما يجري، وجعلهم يدركون إلى حدٍ ما عمق تأثير تعاليم الأئمة عليهم الصلاة والسلام في الناس.

ولأجل ذلك بادر هؤلاء الخلفاء ليس فقط إلى رصد حركات الشيعة، وبالأخص أئمتهم.. وإنما إلى ملاحقة الأئمة «عليهم السلام»، وكثير من شيعتهم، وصب مختلف البلايا والمحن عليهم، وقد ضيَّقوا على الإمام الصادق «عليه السلام» كثيراً، وزجوا بالإمام الكاظم «عليه السلام» في سجونهم بعد ذلك..

الهدف من المناظرات:

وبدأوا يقيمون مجالس البحث والمناظرة[1] ويشجعون عليها من أجل التعرف على مدى تأثير الأفكار الشيعية في الناس عموماً، وفي الجيل المثقف خصوصاً، وكانوا كلما وقفوا على نسبة عمق تأثيرها انعكس ذلك على مواقفهم من الأئمة «عليهم السلام»، كما هو الحال في معاملتهم للإمام الكاظم عليه الصلاة والسلام في سجونهم، حيث

---

(1) راجع: ترجمة هشام بن الحكم مثلاً، في قاموس الرجال ج9.

بقي «عليه السلام» ينقل من سجن إلى سجن ومن بلاء إلى بلاء..

ونجد في بعض النصوص: أنه عليه الصلاة والسلام ينهى هشاماً عن البحث والمناظرة؛ لأن الأمر شديد[1].

ومن أجل التدليل على مدى خوفهم من تأثير تعاليم الإمام الكاظم «عليه السلام»، نذكر: أن يحيى بن خالد البرمكي يقول للرشيد: إن الإمام الكاظم «عليه السلام» ـ السجين والمراقب منهم!! ـ قد أفسد عليهم قلوب شيعتهم!![2].

موازنـة:

وإذا كان الإمامان الصادق والباقر عليهما الصلاة والسلام قد اهتما بطرح المعارف الإسلامية على النطاق الأوسع والأشمل، ولاسيما في المجال الفقهي، وتعريف الناس على أكبر قدر ممكن من الأحكام الشرعية، والمعارف الإلهية..

فإننا نجد الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه يجعل أكبر همَّه، ومعظم جهده منصرفاً إلى التأكيد على الجانب العقيدي، وتركيز المعايير التي من شأنها أن تحفظ الخط، وتعطيه المناعة الكافية ضد أي انحراف، أو محاولة استغلال واستثمار غير مسؤول، من قبل أصحاب المنافع والأهواء.

---

(1) راجع: قاموس الرجال، ج9 ترجمة هشام.

(2) الغيبة للشيخ الطوسي ص20، والبحار للعلامة المجلسي رحمه الله تعالى.

لاسيما وهو يرى أن ثمة توجهاً سلطوياً نحو ترجمة المؤلفات من اللغات الأخرى، الأمر الذي يعني طرح فكر جديد، لن يكون على درجة مرضية من النقاء والصفاء، بل هو ملوث بالأهواء، يعاني من القصور، ومن الخلل في كثير من مفرداته..

خط الأئمة عليهم السلام .. في الأمة:

ومهما يكن من أمر.. فإن مما لا ريب فيه هو: أن خط الأئمة «عليهم السلام» ـ رغم جهود السلطة لضربه، وتعمية السبل إليه ـ كان يزداد قوة وعمقاً، ولاسيما في أوساط الطبقة المثقفة، وفي قطاع العلماء وأرباب الفكر، وكان الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم محط الأنظار، ومهوى الأفئدة، ومنتجع الأفكار، ويتمتعون بالإحترام والتقدير، من مختلف الفئات، ويقر الجميع بباسق فضلهم، وعظيم تقواهم وعلمهم، وفائق قدسهم وطهارتهم..

ما جرى في نيسابور خير شاهد:

وليس ما جرى للإمام الرضا «عليه السلام» في نيسابور إلا واحداً من الشواهد الكثيرة، المعبرة عن مدى احترام الناس، وتقديسهم للأئمة عليهم الصلاة والسلام..

يقول النص التاريخي: إنه «عليه السلام» عندما دخل نيسابور تعرض له الحافظان: أبو زرعة الرازي، ومحمد بن أسلم الطوسي، ومعهما من طلبة العلم ما لا يحصى. وتضرعوا إليه أن يريهم وجهه؛ فأقر عيون الخلائق بطلعته، والناس على طبقاتهم قيام كلهم. وكانوا

بين صارخ، وباك، وممزق ثوبه، ومتمرغ في التراب، ومقبّل لحافر بغلته، ومطول عنقه إلى مظلة المهد، إلى أن انتصف النهار، وجرت الدموع كالأنهار، وصاحت الأئمة:

«معاشر الناس، أنصتوا، وعوا. ولا تؤذوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» في عترته»..

وبعد أن أملى عليهم الحديث الشريف: «لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي الخ..».

عد أهل المحابر والدوى؛ فأنافوا على العشرين ألفاً[1]..

والشواهد التي تدخل في هذا السياق كثيرة، لا مجال لاستقصائها..

لا بد من سياسات جديدة:

والذي يظهر من سير الأحداث هو: أن الأئمة «عليهم السلام» بعد الإمام الكاظم صلوات الله وسلامه عليه، قد بلغ من عظمتهم في

---

(1) راجع: عيون أخبار الرضا ج2 ص135. ومجلة مدينة العلم، السنة الأولى ص415 عن صاحب تاريخ نيسابور، وعن المناوي في شرح الجامع الصغير. والصواعق المحرقة ص202، وينابيع المودة ص364 و385، والبحار ج49 ص123 و126 و127 والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص240 ونور الأبصار ص154وكشف الغمة ج3 ص98، ومسند الإمام الرضا ج1 ص43 - 44 عن التوحيد، ومعاني الأخبار وراجع: نزهة المجالس ج1 ص22، وحلية الاولياء، ج3 ص192 وأمالي الصدوق ص208 و 209.

نفوس الناس: أن وجد الخلفاء أنفسهم بين نارين، فهم من جهة أصبحوا غير قادرين على إيصال الأذى إليهم بصورة علنية وسافرة، تثير عواطف الناس، وتجرح مشاعرهم، كما أنهم من الجهة الأخرى لا يمكنهم أن يتركوهم وشأنهم، يتصرفون بحرية تامة، وكما يشاؤون، وحسبما يريدون.

فاضطرهم ذلك لانتهاج سياسة جديدة، تجاههم «عليهم السلام».. ظهرت مفرداتها، في كثير من أنماط السلوك والمواقف، فكانت قضية لعبة ولاية العهد للإمام الرضا «عليه السلام» من قبل المأمون.. ثم موقفه من الإمام الجواد «عليه السلام».. وبعد ذلك موقف المتوكل العباسي، الرجل الطاغية والقوي جداً والذي كان من أشد الناس بغضاً، ونصباً لأهل البيت «عليهم السلام»، من الإمام الهادي صلوات الله وسلامه عليه، حيث استقدمه إلى سامراء، ليجعله على مقربة منه؛ فكان يكرمه في ظاهر الحال، ويبغي له الغوائل في باطن الأمر، فلم يقدره الله عليه[1]..

وكل ذلك.. وسواه يدخل في هذا السياق، وهو شاهد صدق، ودليل حق على ما نقول..

---

(1) الفصول المهمة، لابن الصباغ المالكي ص226، والإرشاد للمفيد ص314، والبحار ج50 ص203.

سؤال يطرح نفسه:

ولكن اللافت هو: أن الأئمة «عليهم السلام»، لم يظهر أنهم يخططون لتسلُّم زمام الحكم والسلطان بالفعل، وبصورة حاسمة، مع أن الناس في ظاهر الأمر، إما في خطهم، أو على الأقل ليس لديهم حساسية تجاههم، ولا يأبون عن السير في خطهم، أو التعامل معه..

ولاسيما بملاحظة: أن الطليعة المثقفة والواعية، التي كان فكرها يهيمن على مختلف القطاعات في الأمة.. كانت إلى حد كبير مدينة لهم «عليهم السلام».. في فكرها، وفي بناء شخصيتها، وبلورة خصائصها حسبما تقدم..

فما هو السبب في ذلك، ولماذا لا نجد فيما بين أيدينا بوادر جدية من قبلهم «عليهم السلام» في هذا الإتجاه؟.

إن الإجابة على هذا السؤال تحتاج إلى كثير من الدقة والعناية في درس الواقع الذي عايشه الأئمة «عليهم السلام»، وتعاملوا معه، وسجلوا موقفاً تجاهه.. ولعلنا غير قادرين على توفير الحد الأدنى من ذلك في هذه العجالة على الأقل ولكن لا محيص لنا هنا عن الإلماح إلى مدخل مناسب للإجابة يعطي الباحث تصوراً ولو محدوداً عن واقع الفترة التي عاشوها، وعن مدى إمكانية القيام بحركة حاسمة على هذا الصعيد، فنقول:

الثورة قبل أوانها خسارة ولو نجحت:

لقد ذكرنا في بحث لنا حول: «نقش الخواتيم لدى الأئمة عليهم

السلام» ما لعله يفيد في الإجابة على السؤال الآنف الذكر..

فقد ذكرنا هناك: أنه وإن تمكن الأئمة «عليهم السلام»، من تربية العديد من العلماء، وتخريج الكثيرين من جهابذة العلم، وأفذاذ الرجال.. وهذا الأمر، وإن كان ينعكس على كافة القطاعات في الساحة الإسلامية، وكان له أثر لا ينكر في التكوين الفكري، والعاطفي في الناس عموماً..

ولكن هذا الأثر لم يتعد بعده العاطفي، والفكري الجاف، ولم يصل إلى درجة أن يصبح هو التكوين العقائدي الراسخ، الذي من شأنه أن يجعل الفكر الحي، يتفاعل مع العاطفة الصادقة، ليكون وجداناً حياً، من شأنه أن يتحول بصورة عفوية وطبيعية إلى موقف رسالي على صعيد الحركة والعمل.

وعلى هذا.. فلم يكن يمكن الإعتماد على هذا الوعي، ولا على تلك العاطفة في القيام بحركة تغييرية جذرية وحاسمة، ولاسيما بملاحظة ما كان يهيمن على الناس عموماً من ميل قوي للراحة وللحياة المادية، ومن استسلام لحياة الترف واللذة، والتي تستتبع الضعف والركود، والخوف من الإقدام على أي حركة تغييرية تستهدف التغيير فيما ألفوه واعتادوه..

ولو فرض: أنهم في غمرة هيجانهم العاطفي قد نجحوا في حسم الموقف لصالح الإتجاه الآخر، فإن رصيداً كهذا، فكرياً وعاطفياً وحسب، أي من دون بعد عقيدي، وفناء وجداني، وأصالة في الضمير، لن يكون

قادراً على حماية استمرار الحركة، وسلامة صفائها، ولا على تحمل مسؤولياتها التغييرية التي سوف تستهدف جزءاً كبيراً من واقعهم وأنفسهم.

بل سوف ترتد هذه الحركة على نفسها لتأكل أبناءها، وتنقض مبادئها، وتستأصل نبضات الحياة فيها.. وذلك لأن العاطفة سيخبو وهجها، مادام لم يعد ثمة ما يثيرها ويؤججها.. وسيصبح الفكر ركاماً جافاً وخامداً، حينما تهب عليه رياح المصالح والأهواء والشهوات؛ لتجعل منه ـ من ثم ـ هشيماً تذروه الرياح، إن لم يمكن استخدامه وقوداً لها، يعمل على استصلاحها، وتوجيهها، ويهيء لها الفرصة للاستفادة منه على النحو الأكمل والأمثل.

الزيدية.. للاعتبار، لا للأسوة:

هذا كله.. لو أمكن أن تصل الحركة إلى درجة الحسم لصالح الإتجاه الآخر.. ولكنه فرض بعيد، وبعيد جداً، كما أثبتته التجارب المتكررة في أكثر من قرن من الزمن..

حيث رأينا فيه بوضوح: كيف فشلت الحركات الزيدية الكثيرة جداً، وكيف سهل القضاء عليها، حتى أصبحت في خبر كان، حتى وكأن شيئاً لم يحدث، رغم سعة نفوذ الزيدية على مختلف الأصعدة، وفي جميع المجالات، ورغم سيطرتها التامة على الأمور، سياسياً، وإعلامياً، وثقافياً، وعاطفياً، وغير ذلك.. كما أوضحناه في كتابنا: «**الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام**»..

وما ذلك.. إلا لأن حركات الزيدية، وهي حركات سياسية بالدرجة الأولى، ولا يميزها سوى أنها تدعو إلى كل من قام بالسيف من آل محمد «صلى الله عليه وآله»، ولم يكن لها أصالة فكرية وعقائدية راسخة، تنطلق من الروح، وتنبع من الوجدان ـ إن هذه الحركات ـ إنما كانت تعتمد على هذا المد العاطفي الهائل، وعلى ذلك الوعي الثقافي العقلي الجاف، الذي لم يصل إلى حد مزج العاطفة بالفكر، والفكر بالوجدان، لينتج موقفاً رسالياً تخاض من أجله اللجج، وتبذل دونه المهج، بل كان يجد من العراقيل والمعوقات النابعة من داخلهم، ما يجعل الاعتماد عليه اعتماداً على سراب، والتمسك به تمسكاً بما هو أوهى حتى من الطحلب، حين يتشبث به الغريق..

وذلك هو ما يفسر لنا كيف أنهَّ حينما كان الناس يواجهون الأمور بجدية، ويبلغ الحزام الطبيين، يعودون إلى دنياهم، ويركنون إلى حياة السلامة والدعة، حسب تصورهم، وما ينسجم مع هوى نفوسهم.. ولا يهمهم ما سوف يحصل بعد ذلك، ولا ماذا تكون النتائج.

لا مجال للمجازفة:

وإذن.. فلم يكن للأئمة عليهم الصلاة والسلام والحالة هذه: أن يُقدِموا على المجازفة بزجّ الأمة في صراع لن تكون نتيجته سوى الفشل الذريع، والخيبة القاتلة، في ظروف كهذه في ذلك الوقت الراهن على الأقل..

لأن معنى ذلك هو: أن ينتهي أمرهم، وتتلاشى دعوتهم، بسهولة

ويسر، تماماً كما كان الحال بالنسبة للزيدية وأضرابهم(1).

ومن الواضح: أن إنهاء أمر الأئمة «عليهم السلام» إنما يعني إنهاء أمر الإسلام والأمة، وتدميرهما، والقضاء على كل نبضات الحياة والحركة فيهما، وذلك من الخطورة بحيث لا يبقى لدى الإنسان المنصف ما يناسبه من فنون التعبير عن قباحته، ولن يقتنع أكثر الناس تسامحاً، وإمعاناً في اللامبالاة بأن يصفه بأنه خطأ فاحش في السياسة، وسفه في التدبير.. وخيانة ما بعدها خيانة.

وحسبنا ما ذكرناه هنا.. ولننتقل إلى الكلام عن الحياة السياسية للإمام الجواد «عليه السلام».. **فـ : إلى ما يلي من صفحات..**

---

(1) راجع فيما تقدم: نقش الخواتيم لدى الأئمة عليهم السلام ص38 - 39.

الفصل الثاني:

زلزال وإعصار في الأعماق

الفهارس 27

من خصائص الشيعة:

الاعتماد على العقل والفطرة:

لقد امتاز الشيعة الإمامية، وبتأثير من تعليم أئمتهم الأطهار، والتزاماً منهم بمنهج القرآن ـ امتازوا ـ بالاعتماد على العقل والفطرة الإنسانية، والخضوع لقضائهما، والإلتزام بأحكامهما في أصول عقائدهم.

أي في التوحيد، وصفات الله الثبوتية، والسلبية، والاعتقاد بالعدل الإلهي وبالنبوات وبالإمامة، وبالجزاء..

وهذا الأمر.. أعني إعطاء العقل دوره فيما تتوافق العقول على إدراكه، لم يكن أمراً عارضاً، ولا حالة استثنائية عند الشيعة. وإنما هو من الأمور المتأصلة في فكرهم، ويتخذ صفة العمق، والتجذر، والرسوخ في مختلف مناحي ثقافتهم، ومعارفهم بصورة عامة.

وقد نبغ فيهم ومنهم كبار المتكلمين، وأرباب الفكر المبدع، والقريحة الخلاقة، من أمثال هشام بن الحكم، وهشام بن سالم، وأبي جعفر محمد بن النعمان الأحول، المعروف بمؤمن الطاق عند الشيعة، وبشيطان الطاق

عند أهل السنة، وعلي بن إسماعيل الميثمي، وغيرهم، وغيرهم، ثم تلامذتهم من بعدهم..

بل إن الإعتزال الذي يعتبر متطرفاً في الاعتماد على العقل وأحكامه، إنما اعتمد في أعظم ركنين فيه، وهما: «التوحيد، والعدل» على أقوال الإمام علي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، التي انطلقت من قضاء الفطرة، وأحكام العقل الصحيحة والسليمة.

إذن.. فلم يكن للشيعة أن يقبلوا بأمر يخالف صريح حكم العقل، ولكنهم حين يقوم عندهم برهان ساطع، ودليل قاطع، على أمر ليس للعقل سبيل إلى إدراك جميع خصائصه، وخباياه، وميزاته، وخفاياه، فإنهم يجدون أنفسهم ملزمين بقبوله ما دام أنه مما تعنو له آراؤهم، وتنقاد له عقولهم بالخضوع والتسليم..

الشيعة.. والإمامة:

هذا.. وقد كانت قضية الإمامة، وشؤونها وخصائصها أيضاً، من أهم القضايا التي شغلت الفكر الإسلامي عامة، والشيعي بصورة أخص، منذ وفاة الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله».

وكان جمهور الشيعة، فضلاً عن متكلميهم، والعلماء وأرباب الفكر فيهم، مطلعين على خفايا ومزايا هذا الأمر بشكل تام. ويمتلكون الرؤية الواضحة، والمعايير الصحيحة، في مختلف شؤون الإمام وأحواله، وخصائصه، وخصوصاً في موضوع لزوم عصمته وطهارته من الأدناس، والعلم الجامع الذي اختص الله به كل إمام.

الإمام المعجزة:

وكان أعظم امتحان واجههم في هذا الأمر، هو إمامة الإمام محمد التقي الجواد صلوات الله وسلامه عليه، الذي بدأت إمامته في سن مبكر جداً، وهو أمر لم يكن الشيعة قد مروا بمثله في تاريخهم..

فقد ولد الإمام محمد التقي الجواد عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان المبارك سنة 195هـ . ق، وتوفي سنة 220هـ . ق. في ذي القعدة مسموماً على يد زوجته، بتحريض وأمر من المعتصم العباسي.

أما والده الإمام الرضا عليه الصلاة والسلام، فقد توفي سنة 203هـ . ق. شهيداً بالسم على يد الخليفة العباسي عبد الله المأمون..

فكان الإمام الجواد «عليه السلام»، الأول من الأئمة الاثني عشر «عليهم السلام» يتولى شؤون الإمامة، ويتسلم مهام القيادة والريادة، وهو صغير السن، أي ابن ثماني سنين تقريباً..

ثم جاء بعده ولده الإمام علي الهادي صلوات الله وسلامه عليه، ليتولى شؤون الأمة، وهو بهذا السن أو أصغر ـ ثمان، أو ست سنوات أيضاً..

ثم يأتي بعد ذلك الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ليتولى أمر الإمامة، وعمره لا يزيد على الخمس سنوات كذلك.

«فكان الإمام الجواد عليه الصلاة والسلام ـ على حد تعبير البعض ـ أول تجسيد حي للإمامة، على حسب ما يقوله الشيعة، بكل ما لهذه الكلمة من معنى، وعلى حسب المواصفات التي وردت في الكتاب والسنة للإمام وأحواله وشؤونه، والله سبحانه هو الذي يتولى تسديده وتربيته على الدوام»..

الزلزال من الأعماق:

ورغم وضوح الأمور لدى غالبية الشيعة، فإنه لا يمكننا غض النظر عن حقيقة: أن الشيعة ـ ولاسيما غير العلماء منهم ـ يواجهون في هذا الأمر أول مخاض عقائدي عسير جداً، وفريد من نوعه، ويتعرضون لزلزال عقائدي عنيف من داخل أنفسهم، يزلزل وجودهم، ويهز ضمائرهم من الأعماق..

هذا عدا عما ينشأ عن حدث كهذا، من خلل في العلاقات، وفي الموقع الذي تحتله هذه الفرقة في مقابل سائر الفرق والمذاهب. ثم ما يتبع ذلك من تطورات وتحولات على صعيد الحركة الفكرية في العالم الإسلامي بأسره..

ووضوح قضية الإمامة وشؤونها وقطعيتها لدى الشيعة.. لا يعني أن لا يتعرض عامة الناس والضعفاء منهم لهذا الزلزال الخطير..

بل سيأتي: أن هذا الحدث قد أثر حتى في بعض كبار الشيعة وعلمائهم.. لاسيما وأن الأئمة قد ربَّوا شيعتهم على احترام الفكر والعقل، فيما يستقل بإدراكه، وكان مما تتوافق عليه عقول جميع

البشر.. حتى ليصح القول: إنهم أصبحوا عقليِّين إلى حد كبير.

ولكنه عقل خاضع لله، عارف بواقع نفسه، واقف على مدى قدراته، لا يدَّعي لنفسه ما ليس له، ولا يدَّعي علم ما حجب عنه، ولا يجد الوسيلة إليه..

غير أن بعض التفصيلات الدقيقة في قضية الإمامة، تحتاج لمزيد من الفكر، والعمق، والدقة، والإطلاع على ما كشف عنه عالم الغيب والشهادة، بواسطة أنبيائه وأوصيائهم. وهذا ما لا يمكن توفره للكثيرين ممن لم يضربوا في العلم بسهم وافر، فكيف بالنسبة للعامة من الناس؟

فإذا تجسدت نفس هذه الحالات الخفية في نفس الواقع والأمر، فإنها لابد وأن تحدث ـ في بادئ الأمر على الأقل ـ زلزالاً قوياً في الفكر، وصدمة عميقة للوجدان.. ولابد من مرور مدة من الزمان، ليعود الفكر والعقل للتصرف فيما لديه من معلومات، وإدراكات، تمكنه من امتلاك زمام المبادرة، وتولي قيادة مسيرة الإنسان، والهيمنة على مواقفه وحركاته، ثم تغذية ضميره، والإتصال بوجدانه.

حيرة الشيعة:

وفي مجال التدليل على تأثيرات صغر سن الإمام «عليه السلام» في داخل البيت الشيعي..

نشير إلى الأمور التالية:

قال ابن رستم الطبري: «ولما بلغ عمره ست سنين وشهور، قتل

المأمون أباه، وبقيت الطائفة في حيرة. واختلفت الكلمة بين الناس، واستُصْغِرَ سن أبي جعفر، وتحير الشيعة في سائر الأمصار»[1].

تمهيد الإمام الصادق للإمام الجواد عليهما السلام:

بل الظاهر: أن التمهيد لهذا الأمر قد بدأ من عهد الإمام الصادق «عليه السلام»، فقد قال أبو بصير:

«دخلت عليه، ومعي غلام يقودني خماسي لم يبلغ.

فقال: كيف أنتم إذا احتج عليكم بمثل سنه؟

وقال: سيلي عليكم بمثل سنه»[2]..

وسنشير إلى استدلال الإمام الجواد نفسه «عليه السلام» باستخلاف داود لسليمان عليهما السلام وهو صبي يرعى الغنم. وباتباع علي «عليه السلام» للنبي «صلى الله عليه وآله»، وهو ابن تسع سنين، ونزول الآية في ذلك.

والإمام الرضا عليه السلام أيضاً:

وروى المفيد، عن ابن قولويه، عن الكليني، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد:

أن صفوان بن يحيى ـ وهو أيضاً من أصحاب الإجماع، ومن

---

(1) دلائل الإمامة ص204.

(2) الكافي ج1 ص314.

جلة أصحاب الأئمة «عليهم السلام» ـ لا يكاد يتعقل أن يكون إمام المسلمين طفلاً صغيراً، حتى يؤكد له الرضا «عليه السلام» ذلك، ويستدل له بقوله:

«وما يضره؟!. قد قام عيسى بالحجة، وهو ابن أقل من ثلاث سنين»[1].

وفي نص آخر: عن علي بن محمد، عن محمد بن الحسن، عن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر (أي البزنطي)، قال: دخلت على الرضا، أنا وصفوان بن يحيى، وأبو جعفر «عليه السلام» قائم، وقد أتى له ثلاث سنين، فقلنا له: جعلنا الله فداك، إن ـ وأعوذ بالله ـ حدث حدث، فمن يكون بعدك؟

قال: ابني هذا، وأومأ إليه.

---

(1) الإرشاد للمفيد ص357، وراجع ص358، وإعلام الورى ص346 في موضعين، والكافي ج1 ص314 و258 وراجع ص413 و259 و315 وعيون المعجزات ص119 وروضة الواعظين ص237 والصراط المستقيم ج2 ص166، وإثبات الوصية ص212 و213 والبحار ج50 ص21 و32 و34 ودلائل الإمامة ص204 وكفاية الأثر ص274 و275 وكشف الغمة ج3 = = ص141 و143 والإمام محمد الجواد، لمحمد علي دخيل ص13 عن الإرشاد والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص251.

قال: فقلنا له: وهو في هذا السن؟.

قال: نعم، وهو في هذا السن، إن الله تبارك وتعالى احتج بعيسى وهو ابن سنتين[1].

كما أن الرضا «عليه السلام» قد استدل بما هو قريب من هذا لعلي بن أسباط، وهو من الثقات المعروفين، ولمعلىّ بن محمد أيضاً[2].

وهناك موقف آخر للإمام الرضا «عليه السلام»، أراد فيه تقريب هذا الأمر إلى أذهانهم، رواه لنا ابن قولويه، عن الكليني، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن معمر بن خلاد قال:

«هذا أبو جعفر، قد أجلسته مجلسي، وصيرته مكاني.

وقال: إنا أهل بيت يتوارث أصاغرنا أكابرنا، القذة بالقذة»[3].

---

(1) كفاية الأثر ص275 والبحار ج50 ص35.

(2) الكافي ج1 ص413و315 وإعلام الورى ص349 - 350 وكشف الغمة ج3 ص150 - 151 والصراط المستقيم ج2 ص166 وإثبات الوصية ص211 والبحار ج50 ص20 و37 والخرايج والجرايح ص345 - 346 وبصائر الدرجات ص238 والإرشاد للشيخ المفيد ص367 والمناقب لابن شهرآشوب ج4 ص389 وراجع الفصول المهمة للمالكي ص252.

(3) الإرشاد للشيخ المفيد ص357 والكافي ج1 ص256 - 257 والبحار ج50 ص21 وإعلام الورى ص346 وكشف الغمة ج3 ص141 والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص251.

الإمتحان وفق المعايير:

ولكن رغم ذلك كله: فإنه إذا كانت معرفة العصمة والطهارة، ثم معرفة من أودعه الله علوم الإمامة، يمكن أن تتم بواسطة النص المباشر، ووضع هذا النص في متناول أيدي الناس، فكان كل إمام ينص على الإمام الذي بعده، ويدل طائفة من خواصه عليه..

لكن من الواضح: أن الشيعة يعرفون أيضاً أن شدة ملاحقة السلطان لهم، ورصده لكل حركاتهم، قد يبلغ حداً يجعل من وضوح النص على الإمام اللاحق خطراً على حياته، فتدعو الحاجة إلى التكتم على اسمه، وعدم البوح به إلى أكثر الناس، ولا بد من إعطاء الناس القاعدة التي تدلهم على الإمام «عليه السلام» بصورة قاطعة. لكي لا تشتبه الأمور عليهم، ولكي لا يفسح المجال للمزيفين لادعاء هذا المقام الإلهي، فكانت أهم قاعدة تفيدهم في ذلك هو امتلاك الإمام علم الإمامة، وهو علم خاص، يؤثره الله به دون سائر الخلق، حتى وهو طفل صغير، وقد استفاد الشيعة من هذه القاعدة في التعرف على الإمام الحق في أكثر من مورد ومقام، خصوصاً بعد استشهاد الإمام الرضا «عليه السلام» أيضاً، فكانت الوسيلة إلى ذلك، هي:

الإمتحان بالأسئلة التي لا تعلم أجوبتها بإعمال الفكر، بل تحتاج إلى التعلم، أو إلى الأخذ من مصدر الفيض واللطف، بطرق تشي بالارتباط به سبحانه وتعالى.. وذلك مثل الأسئلة الفقهية، وقد تلحق بها بعض المعارف الاعتقادية التوقيفية وغيرها، أو بظهور المعجزات،

والكرامات الباهرة.

فإذا أخبرهم بما لا سبيل إلى العلم به إلا بتعليم من الله عز وجل، أو أظهر الله له الكرامة التي تعرفهم على أنه مورد عنايته تعالى، فإن ذلك يكون هو الدلالة القاطعة على إمامة الإمام المنصوص عليه كما هو معلوم.

وبسبب وضوح هذا الأمر لدى شيعة أهل البيت «عليهم السلام»، فإنهم «سرعان ما يكتشفون حقيقة من يدَّعي الإمامة زوراً، ويفتضح أمره، ويشتهر بكذبه، كما كان الحال بالنسبة لعبد الله الأفطح، ابن الإمام جعفر الصادق «عليه السلام»، الذي ادَّعى الإمامة لنفسه بعد الإمام الصادق «عليه السلام». ولم يكن صادقاً في دعواه..

وكما كان الحال أيضاً بالنسبة لجعفر إبن الإمام علي الهادي «عليه السلام»، الذي ادَّعى الإمامة لنفسه بعد أخيه الحسن العسكري «عليه السلام»، فإن أمرهما قد افتضح بسرعة. حتى إن أولاد هذا الأخير أنفسهم، لم يقبلوا بإمامته، وقالوا بإمامة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وكان منهم علماء كثيرون، وبعضهم من أعيان الطائفة الإمامية. فإن الشيخ الطوسي أو المفيد رحمهما الله تعالى (على ما ببالي) لم يذكر في أبيهم جعفر، كبير طعن، احتراماً منه لِوُلْدِهِ رضي الله عنهم..».

ونجد في المقابل: التسليم والقبول لدى جمهور الشيعة بإمامة

الجواد عليه الصلاة والسلام. حتى إن عم أبيه علي بن جعفر قد كان من كبار العلماء ومن الأجلة، وكان شيخاً كبير السن، يظهر للإمام الجواد «عليه السلام» ـ على صغر سنه ـ الكثير من الإحترام والتبجيل على اعتبار أن الله تعالى قد اختصه بالإمامة، الأمر الذي جعل البعض يتعجب ويعترض عليه لذلك؛ فيسمع منه الجواب الذي يؤكد هذا المعنى أيضاً.. [1].

الإمام الجواد عليه السلام والشيعة:

ويقول مؤلف كتاب عيون المعجزات وغيره: «..لما قبض الرضا «عليه السلام» كان سن أبي جعفر نحو سبع سنين؛ فاختلفت الكلمة بين الناس ببغداد، وفي الأمصار. واجتمع الريان بن الصلت، وصفوان بن يحيى ومحمد بن حكيم، وعبد الرحمن بن الحجاج، ويونس بن عبد الرحمن، وجماعة من وجوه الشيعة، وثقاتهم، في دار عبد الرحمن بن الحجاج في «بركة زلول» يبكون، ويتوجعون من المصيبة..

فقال لهم: يونس بن عبد الرحمن: دعوا البكاء، من لهذا الأمر؟ وإلى من نقصد بالمسائل إلى أن يكبر هذا.. يعني: أبا جعفر «عليه

---

(1) راجع: البحار ج50 ص36 و104 والكافي ج1 ص258 ورجال الكشي ص429 و430 وقاموس الرجال ج6 ص436 و437 وسيأتي النص بتمامه في آخر الفصل الثالث، إن شاء الله تعالى..

السلام».

فقام إليه الريان بن الصلت، ووضع يده في حلقه، ولم يزل يلطمه، ويقول له: أنت تظهر الإيمان لنا، وتبطن الشك والشرك، إن كان أمره من الله، فلو أنه كان ابن يوم واحد، لكان بمنزلة الشيخ وقوته، وإن لم يكن من عند الله، فلو عمر ألف سنة فهو واحد من الناس. هذا مما ينبغي أن يفكر فيه؟..

فأقبلت العصابة عليه تعذله وتوبخه. وكان وقت الموسم، فاجتمع من فقهاء بغداد والأمصار، وعلمائهم ثمانون رجلاً؛ فخرجوا إلى الحج، وقصدوا المدينة، ليشاهدوا أبا جعفر؛ فلما وافوا..

تقول الرواية التي أوردها في المناقب والبحار (والنص للبحار)[1]:

«فجئنا ودخلنا القصر، فإذا الناس فيه متكابسون، فجلسنا معهم، إذ خرج علينا عبد الله بن موسى، شيخ، فقال الناس: هذا صاحبنا..

فقال الفقهاء: قد روينا عن أبي جعفر، وأبي عبد الله «عليهما السلام»: أنه لا تجتمع الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين «عليهما السلام»، فليس هذا صاحبنا، فجاء حتى جلس في صدر المجلس.

---

(1) المناقب ج4 ص382 - 384 والبحار ج50 ص90 و91 وراجع ص85 و86.

فقال رجل: ما تقول أعزك الله في رجل أتى حمارة؟

فقال: تقطع يده، ويضرب الحد، وينفى من الأرض سنة.

ثم قام إليه آخر، فقال: ما تقول آجرك الله في رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء؟

قال: بانت منه بصدر الجوزاء، والنسر الطائر، والنجم الواقع..

فتحيرنا في جرأته على الخطأ، إذ خرج علينا أبو جعفر «عليه السلام»، وهو ابن ثمان سنين، فقمنا إليه، فسلم على الناس، وقام عبد الله بن موسى من مجلسه، فجلس بين يديه، وجلس أبو جعفر «عليه السلام» في صدر المجلس، ثم قال: سلوا رحمكم الله..

فقام إليه الرجل الأول، وقال: ما تقول ـ أصلحك الله ـ في رجل أتى حمارة؟

قال: يضرب دون الحد، ويغرم ثمنها، ويحرم ظهرها ونتاجها، وتخرج إلى البرية، حتى تأتي على منيتها، سبع أكلها، ذئب أكلها..

ثم قال بعد كلام: يا هذا، ذاك الرجل ينبش عن ميتة، يسرق كفنها، ويفجر بها، ويوجب عليه القطع بالسرق، والحد بالزنى، والنفي، إذا كان عزباً، فلو كان محصناً لوجب عليه القتل والرجم..

فقال الرجل الثاني: يا بن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ما تقول في رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء؟

قال: تقرأ القرآن؟

قال: نعم.

قال: اقرأ سورة الطلاق إلى قوله: **(وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ)** [1]..

يا هذا لا طلاق إلا بخمس: شهادة عدلين، في طهر، من غير جماع، بإرادة وعزم..

ثم قال بعد كلام: يا هذا، هل ترى في القرآن عدد نجوم السماء؟

قال: لا..» (الخبر)..

وفي نص آخر يقول الراوي: بعد أن ذكر أن عبد الله بن موسى أجاب بغير الواجب:

«فورد على الشيعة ما حيرهم وغمهم، واضطربت الفقهاء، وقاموا، وهموا بالانصراف، وقالوا: لو كان أبو جعفر يكمل جواب المسائل لما كان من عبد الله ما كان، من الجواب بغير الواجب..».

ثم تذكر الرواية: أن الناس بعد أن أجابهم أبو جعفر «عليه السلام» بالحق، فرحوا، وألحوا عليه بمسائلهم..

ثم تذكر الرواية: ما جرى بينه وبين إسحاق بن إبراهيم، فليراجعها من أراد [2]..

---

(1) الآية 2 من سورة الطلاق.

(2) عيون المعجزات ص119 - 121، وإثبات الوصية ص213 - 215 ودلائل الإمامة ص204 - 206 و212 والبحار ج50 ص99 - 100 وقاموس الرجال ج9 ص499.

وبعد.. فإنه إذا كانت تلك هي حال حتى بعض العلماء والفقهاء، من أمثال يونس بن عبد الرحمن ـ وهو من أصحاب الإجماع ـ ذلك الرجل الكبير، والثابت القدم في موالاة أهل البيت «عليهم السلام».. فكيف إذن تكون حال الآخرين، ممن لم يستضيؤا بنور العلم، ولا يملكون قناعات ثابتة ومركزة في كثير من العقائد، ولاسيما في الأمور التفصيلية منها؟!.

وقد لاحظنا: أن الريان بن الصلت قد واجهه بالقواعد الثابتة، التي تزيل كل شبهة، وتقطع كل عذر..

كما ويلاحظ أيضاً: أن الأسئلة التي طرحت لمعرفة الإمام قد كانت من الأسئلة التي لا تنال أجوبتها بالعقول، بل تحتاج إلى تعليم وتوقيف.

وللإمام الجواد عليه السلام موقف آخر أيضاً:

وقد روي أن الإمام الجواد «عليه السلام»، قد واجه هذه الشكوك بنفس الروح، وبالإستناد إلى تلكم الحجج، فعن الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن علي بن أسباط، قال:

«خرج «عليه السلام» عليَّ، فنظرت إلى رأسه ورجليه لأصف

وذُكِرَ جانب من هذه القضية أيضاً في البحار ج50 ص91 - 92 و85 - 86 والمناقب لابن شهرآشوب ج4 ص382 - 383 عن الجلاء والشفاء، والاختصاص للشيخ المفيد ص102.

قامته لأصحابنا بمصر، فبينا أنا كذلك، حتى قعد، وقال: يا علي إن الله احتج في الإمامة بمثل ما احتج به في النبوة، فقال: **(وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا)** [1].

وقال: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) [2] وبلغ أربعين سنة..

فقد يجوز أن يؤتى الحكم صبياً، ويجوز أن يعطاها وهو ابن أربعين سنة»..

ومثل ذلك جاء عن معلى بن محمد أيضاً.. [3].

صغر سنه عليه السلام يغري بطرح الأسئلة:

ولعل هذا الوضع الخاص جداً، الذي تميز به الإمام الجواد «عليه السلام»، هو الذي جعل الناس يهتمون بطرح الأسئلة الكثيرة عليه صلوات الله وسلامه عليه، حتى ليقول النص:

«استأذن على أبي جعفر «عليه السلام» قوم من أهل النواحي، من الشيعة؛ فأذن لهم؛ فدخلوا. فسألوه في مجلس واحد عن ثلاثين ألف مسألة، فأجاب، وله عشر سنين» [4]..

---

(1) الآية 12 من سورة مريم.

(2) الآية 22 من سورة يوسف.

(3) راجع الهامش الذي قبل الرقمين السابقين.

(4) الكافي ج1 ص415 والإختصاص ص102، والبحار ج50 ص86 و93، وكشف الغمة ج3 ص154 والمناقب لابن شهرآشوب ج4 ص384

ولعل تلك الجماعة التي تقدمت الإشارة إليها، وكان من بينها يونس بن عبد الرحمن، والريان بن الصلت، هي نفسها التي سألته هذه المسائل، حينما قدمت عليه..

ثلاثون ألف مسألة!! كيف؟!:

ولا نستبعد: أن يكون هذا العدد ـ أعني ثلاثين ألف مسألة ـ تقريبياً، أو فيه شيء من المبالغة لإظهار نسبة الكثرة، إذ من البعيد أن يتم إحصاء دقيق في هذه الموارد، وأمثالها..

ويبدوا لنا: أنهم قد بقوا يحاورونه في المسائل مدة من الزمان، ولربما أياماً، في محل واحد، لم يتحول عنه إلى غيره، كأن يكون في «صريا» مثلاً، أو في «قبا».

فالمراد بوحدة المجلس: في قوله «في مجلس واحد» الوحدة النوعية، بملاحظة وحدة المكان، والمسؤول، والسائل.

كما أن من المحتمل أن تكون كلمة «ألف» زائدة من النساخ، أو من غيرهم.

والمجالس السنية ج5 ص623 والإمام الجواد لمحمد علي دخيل ص46 عن بعض من تقدم وعن: صحيفة الأبرار ج2 ص300 والأنوار البهية ص130 ووفاة الإمام الجواد ص58 والدمعة الساكبة ج3 ص113 وجلاء العيون ج3 ص106 وإثبات الهداة ج6 ص175.

وقد ذكر الكاشاني هذا الحديث، وليس فيه كلمة «ألف» هذه[1]..

ومهما يكن من أمر؛ وعلى تقدير ثبوت هذه الكلمة في الحديث ـ ولعله هو الراجح ـ إذ إن الرواية تريد أن تذكر أمراً غريباً ـ فقد ذكر المجلسي وغيره وجوهاً أخرى في بيان المراد من النص المذكور[2].. فلا بأس بالرجوع إليها لمن أحب ذلك.

واللافت: أن أهل السنة يدعون لأئمتهم نظير هذا أيضاً، فإن عبد الوهاب الوراق يقول عن أحمد بن حنبل: إنه «رجل سئل عن ستين ألف مسألة، فأجاب فيها بأن قال: حدثنا، وأخبرنا»[3]..

ولا ريب في أن ذلك ـ لو صح!! ـ : فإنه لم يكن في مجلس واحد، بل كان في مجالس متعددة.

كما أن من الواضح: أنه لم يتم إحصاء دقيق لهذه المسائل.. وإنما ذكر العدد على وجه التقريب أيضاً. حسبما قدمنا..

وعلى كل، فإننا نعود فنكرر: أن اختصاص الإمام الجواد ـ على صغر سنه ـ من بين سائر الأئمة «عليهم السلام» بهذه المسائل الكثيرة، إنما يعبر عن أن ثمة تعمداً خاصاً بالنسبة إلى هذا الإمام

---

(1) المحجة البيضاء ج4 ص306.

(2) راجع: البحار ج50 ص93 ـ 94، والإمام الجواد، لمحمد علي دخيل ص46 ـ 48.

(3) مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص142.

بالذات لخصوصية دعتهم إلى ذلك بلا ريب..

ولكن ما يؤسف له هو: أننا لم نجد إلا النزر اليسير جداً. من هذه المسائل التي سئل عنها الإمام الجواد «عليه السلام»، حيث لم يكن الهدف إلا الحصول على الطمأنينة القلبية بإمامته «عليه السلام»، ولم يكن ثمة التفات للزوم تدوين تلك المسائل..

الواقفة بعد الإمام الرضا عليه السلام:

لقد رأينا: أن بعض الناس، بعد وفاة الإمام الرضا «عليه السلام» قد رجعوا إلى الوقف على الإمام الكاظم، وهم المؤلفة.

وبعضهم قال بإمامة أحمد بن موسى.

وهؤلاء.. قد كانوا قلة بالقياس إلى جمهور الشيعة القائلين بإمامة التقي الجواد «عليه السلام»، فإن القائلين بإمامته «عليه السلام» قد كانوا أكثر الفرق عدداً..[1].

وقد انقرضت سائر الفرق دونهم.. ولكن نفس عودة القائلين بالوقف إلى مقالتهم الأولى، يشير إلى أنهم: قد بقوا على حالة التزلزل الداخلي الذي نالهم من قبل، وأثّر في الضعفاء، وغير الواعين منهم. وأن أمر الإمامة لم يحسم عندهم، بعد وقفهم على الإمام الكاظم «عليه السلام»، وأن إظهارهم لتولي الإمام الرضا «عليه السلام» إنما كان انسياقاً مع التيار، ولم يكن عن قناعة حقيقية..

---

(1) الفصول المختارة من العيون والمحاسن ص256.

الإمام الجواد عليه السلام ليس هو السبب:

وهذا معناه: أن عودتهم إلى الوقف لم يكن بسبب صغر سن الإمام الجواد «عليه السلام»، إذ لو كان الأمر كذلك لكان اللازم عليهم الوقف على الإمام الرضا «عليه السلام»، لا العودة إلى الوقف على الإمام الكاظم «عليه السلام»..

كما أن الذين قالوا بإمامة أحمد بن موسى، لم يكن قولهم بإمامته إلا امتداداً لانتقالهم إليه من أبيه موسى مباشرة، ثم أظهروا القول بإمامة الرضا «عليه السلام» انسياقاً مع التيار، لا عن قناعة حقيقية به، ثم عادوا إلى ما كانوا عليه كما سيوضحه لنا النصان التاليان:

قال النوبختي وغيره: «وكان سبب الفرقتين، اللتين ائتمت واحدة منهما بأحمد بن موسى، ورجعت الأخرى إلى القول بالوقف: أن أبا الحسن الرضا «عليه السلام» توفي، وابنه محمد ابن سبع سنين، فاستصبوه، واستصغروه، وقالوا: لا يجوز الإمام إلا بالغاً»[1].

وعلى حد تعبير الشهرستاني: «إن من الشيعة من قال بإمامة أحمد بن موسى بن جعفر، دون أخيه علي الرضا. ومن قال بعلي، شك أولاً في محمد بن علي، إذ مات أبوه وهو صغير، غير مستحق

---

(1) فرق الشيعة ص97 ـ 98، والمقالات والفرق ص95 والفصول المختارة من العيون والمحاسن ص256، ونظرية الإمامة ص390 عن النوبختي.

للإمامة، ولا علم عنده بمناهجها، وثبت قوم على إمامته»[1]..

وبذلك يعلم: أن سعيهم لإبطال إمامة الجواد «عليه السلام» قد جاء على سبيل الكيد والمناكدة، ولم يكن صغر سنه هو السبب الحقيقي في عودتهم إلى الوقف على الإمام الكاظم «عليه السلام»، أو إلى إمامة ولده أحمد.. إذ لو كانوا صادقين في ذلك، لكان عليهم أن يعترفوا بإمامة الإمام الرضا «عليه السلام» كما أشرنا إليه..

بطلان استدلال الواقفة:

ومهما يكن من أمر: فإنهم استدلوا على ذلك، حسبما جاء في المصادر، بأنه: «لو جاز أن يأمر الله عز وجل بطاعة غير بالغ، لجاز أن يكلف غير بالغ، فكما لا يعقل أن يحتمل التكليف غير بالغ، فكذلك لا يفهم القضاء بين الناس، ودقيقه، وجليله، وغامض الأحكام، وشرايع الدين، وجميع ما أتى به النبي «صلى الله عليه وآله»، وما تحتاج إليه الأمة يوم القيامة، من أمر دينها ودنياها طفل غير بالغ.

ولو جاز أن يفهم ذلك من نزل عن حد البلوغ درجة، لجاز أن يفهم ذلك من نزل عن حد البلوغ درجتين، وثلاثاً، وأربعاً، راجعاً إلى الطفولية، حتى يجوز أن يفهم ذلك طفل في المهد والخِرَق، وذلك غير معقول، ولا مفهوم، ولا متعارف» انتهى[2].

---

(1) الملل والنحل ج1 ص169.

(2) راجع المصادر في الهامشين السابقين..

ولكن الإجابة عما ذكروه: كانت سهلة وواضحة جداً، ولأجل ذلك لم يعبأ أحد بمقالتهم، فإن النبي عيسى «عليه السلام» قد قام بالحجة، وهو ابن أقل من ثلاث سنين: **(قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا)** (1) كما ورد في الروايات وبعضها تقول: سنتين..

وقال تعالى في حق النبي يحيى «عليه السلام»: **(وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا)** (2).. كما أن داود جعل سليمان خليفة له، وهو صبي يرعى الغنم، ثم هناك قضية إيمان علي «عليه السلام»، وهو ابن تسع سنين، وقول الله عز وجل: **(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي)** (3).

وتقدم أيضاً: جواب الريان بن الصلت ليونس بن عبد الرحمن.. إلى غير ذلك من الأجوبة القاطعة، التي لا مجال لها هنا.

مصادر علم الإمام الجواد عليه السلام:

وبعد ذلك.. فإن الشيعة الذين اعتقدوا بإمامة الإمام الجواد عليه الصلاة والسلام، قد اختلفوا في مصدر علمه..

فقال بعضهم: إنه يتلقى علومه من كتب أبيه، وما رسم له فيها من الأصول والفروع.

---

(1) الآية 30 من سورة مريم.

(2) الآية 12 من سورة مريم.

(3) الآية 108 من سورة يوسف.

وقال آخرون: إنه لم يتعلم من أبيه؛ لأنه حمل إلى خراسان، وهو ابن أربع سنين وأشهر.

نعم.. عند بلوغه يهيء الله له أسباب العلم، كالإلهام، والنكت بالقلب، والرؤيا الصادقة، وغير ذلك.

وقالت فرقة: يمكن أن يعلم بكلا الطريقتين[1]..

وذلك إن دل على شيء، فإنما يدل على أن هذا الحدث ـ وإن لم يكن قد أثر على اعتقاد جمهور الشيعة في أصل الإمامة، لأنهم كانوا على درجة عالية من المعرفة والوعي، وعلى بينة من أمرهم، فيها، إلا أنه قد اتخذ ذريعة لتأكيد الشبهة لدى تلك القلة التي كانت قد وقفت على الإمام الكاظم «عليه السلام»، أو قالت بإمامة أحمد بن موسى كما أشرنا إليه، فراحوا بسبب ضعفهم يتخبطون خبط عشواء، في الليلة المطيرة الظلماء.

ومهما يكن من أمر.. فإن كلام الريان بن الصلت وغيره، يعطي: أن جمهور الشيعة كانوا يعتقدون: بأن صغر سنه عليه التحية والسلام لا يؤثر على قدرته على تلقي العلوم والمعارف، ما دام أن علمه وراثي إلهي إلهامي..

هذا بالإضافة إلى تصريح بعض الروايات: بأنه «عليه السلام»

---

(1) راجع: فرق الشيعة ص98 ـ 99، والمقالات والفرق ص97 ـ 98 ونظرية الإمامة ص391 ـ 392.

قد تلقى قسطاً من علومه من أبيه مباشرة رغم صغر سنه[1].

وما يمنعه من ذلك.. ما دام أن الله سبحانه هو الذي اصطفاه، وهو الذي يؤهله لهذا المقام السامي، وكما استطاع عيسى أن يكون نبياً، وهو في المهد، وقد آتاه الله الكتاب، وجعله نبياً، وآتى الله يحيى بن زكريا الحكم صبياً.. فلماذا لا يؤتي هذا الإمام العظيم القدرة على التعلم من أبيه جميع علوم الإمامة في خلال وقت يسير جداً، فضلاً عن أربع سنوات؟ وفي حال صغر سنه؟!

صلاحيات الإمام عليه السلام مع صغر سنه:

هذا.. ولم يقتصر الخلاف على ما تقدم. بل تعداه إلى الخلاف في صلاحيات الإمام.

ففريق رأى: أنه واجب الطاعة منذ وفاة أبيه، ويقوم بما يقوم به غيره من الأئمة، وليس صغر سنه مانعاً من استفتائه في الحوادث، والائتمام به في الصلاة.. وهؤلاء هم الأكثر، وهم الذين ثبتت مقالتهم واستمرت..

وقال بعضهم: إنه إمام في تلك الحال، بمعنى أن له الأمر، ولا يصلح للإمامة في وقته أحد غيره، ولكن لا يجوز أن يؤمهم في الصلاة، وإنما يتولى الصلاة[2]، وينفذ الأحكام غيره من أهل الفقه،

---

(1) إثبات الوصية ص210.

(2) بل لقد ورد في بعض الروايات جواز إمامة الصبي في الصلاة، كمعتبرة

والدين، والصلاح، إلى وقت إدراكه[1].

غير أن من الواضح: أنها خلافات في أمور ثانوية ناشئة عن

«طلحة بن زيد، عن جعفر، عن أبيه، عن علي عليه السلام: لا بأس أن يؤذن الغلام الذي لم يحتلم، وأن يؤم» الوسائل ج5 ص398، وفي هامشه عن التهذيب ج1 ص254 والاستبصار ج1 ص212.

وفي موثق غياث بن إبراهيم عن أبي عبد الله عليه السلام: «لا بأس بالغلام الذي لم يبلغ الحلم أن يؤم القوم، وأن يؤذن» الوسائل ج5 ص397 وفي هامشه عن الفروع ج1 ص105 وأورده في ج2 ص324 من الأذان.

وفي موثقة سماعة عن الصادق عليه السلام: «يجوز صدقة الغلام، ويؤم الناس إذا كان له عشر سنين» راجع الوسائل ج5 ص397 وفي هامشه عن الفقيه ج1 ص183.

ولا يعارضها سوى فتوى المشهور وخبر إسحاق بن عمار: «أن علياً عليه السلام كان يقول: لا بأس أن يؤذن الغلام قبل أن يحتلم، ولا يؤم حتى يحتلم، فإن أمَّ جازت صلاته وبطلت صلاة من خلفه» الوسائل ج5 ص398 وفي هامشه عن التهذيب ج1 ص254 والاستبصار ج1 ص212 وأورد صدره في الفقيه ج1 ص130 في الأذان.. وبعد.. فلعل للأئمة عليهم السلام خصوصية ليست لغيرهم.

(1) راجع: الحور العين ص165 ومقالات الإسلاميين ج1 ص102 وراجع أيضاً: المقالات والفرق ص97 وفرق الشيعة للنوبختي ص98 ـ 99، ونظرية الإمامة ص391.

عدم تجربة لهم في أمر كهذا من قبل، فبقيت بعض التفاصيل غامضة بالنسبة إلى الذين لم يتيسر لهم سؤال الأئمة «عليهم السلام» عنها، ولم تكن موضع ابتلائهم، ولكن أصل اعتقادهم بالإمام وبالإمامة ثابت وراسخ..

ومن تجليات الأخطار الجسام أيضاً:

وبعد كل ما تقدم.. وإذا كان حتى بعض كبار العلماء، والفقهاء، ورجال الفكر في الطائفة قد عرضت لهم أمثال هذه التساؤلات، في مثل هذه الأمور الدقيقة والصعبة، ولو لفترة وجيزة، وذلك في اللحظات الأولى من حدوث الأمر..

وإذا كان هؤلاء أيضاً قد اختلفوا فيما بينهم ـ ولو بصورة محدودة ـ فيما أشرنا إليه من تفاصيل..

فإن حال العامة من الناس تصبح أكثر وضوحاً في تلك الفترة، حيث سيكون من الصعب إقناعهم بأن طفلاً ناشئاً، لا يتجاوز عمره الثماني سنوات ـ على أبعد التقادير ـ يتحمل مسؤولية قيادة الأمة، وهدايتها، وباستطاعته أن يحل مشاكلها على أفضل وجه، وأتمه، وأن يواجه مختلف التحديات والأخطار، ويتجاوزها بحنكة، ووعي، ومسؤولية!!

ولو فرض: أن هذا الجيل قد تمكن من اجتياز هذا المخاض العسير، بسبب ما يملكه من رصيد عاطفي، ومن وعي نشأ عن رؤية المعجزات والكرامات وخوارق العادات، للأئمة صغاراً وكباراً، ثم ما

اجتمع لديهم ـ لأسباب مختلفة ـ من رواسب فكرية، وعقائدية، نشأوا وترعرعوا عليها، حتى أصبحت منسجمة مع التركيبة الذهنية والحياتية لهم في الحالات الطبيعية، التي تكون فيها عادة أقوى منها في غيرها..

نعم.. لو فرض ذلك: فإن هذا الحدث لسوف يستمر، ربما لعقود من الزمن، حيث سيتكرر من جديد، بالنسبة للإمام الهادي عليه الصلاة والسلام، الذي يخلف الإمام الجواد صلوات الله وسلامه عليه مباشرة.

ثم لحفيده الإمام المهدي، وهو الحجة المنتظر صلوات الله وسلامه عليه.

مما يعني: أن هذه الحالة المتميزة لسوف تتعدى هذا الجيل السابق إلى جيل ناشئ جديد، ربما لم تتمكن فيه الرواسب العقيدية، ولا ارتبط بمسألة الإمامة ارتباطاً عاطفياً عميقاً.. وإنما تعامل معها في أجواء من الريب والشك، منذ اللحظات الأولى التي عايشها، أو تفاعل معها فيها..

فهو لا يملك أية مناعة أو حصانة في مقابل هذا الزلزال، التي يتعرض له من الداخل، وبالذات.. من الأعماق..

وهذا مما يزيد: في معاناة هذه الطائفة ويجعلها أمام مخاض أصعب، وفي مواجهات أوسع، وأشد، وأعتى، من داخلها أولاً، ثم ما سوف تتعرض له من مواجهات كثيرة ومتنوعة، من الخارج أيضاً..

تعظيم علي بن جعفر للإمام الجواد عليه السلام:

وبعد أن ظهرت دلائله، وتجلت براهينه، بخع عظماء الشيعة لإمامته..

ونعرف مدى عظمة الإمام الجواد التقي عليه الصلاة والسلام، من شدة تعظيم عم أبيه: علي بن جعفر الصادق «عليه السلام» له. وكان علي بن جعفر هذا من جلة العلماء، ومن المحدثين المعروفين، وقد ترجمه العسقلاني في تهذيب التهذيب، وروى عنه الترمذي[1]..

ولسنا هنا في صدد استقصاء ترجمته..

فيحدثنا الحسين بن موسى بن جعفر عليهما السلام، قال:

«كنت عند أبي جعفر «عليه السلام» بالمدينة، وعنده علي بن جعفر، فدنا الطبيب ليقطع له العرق، فقام علي بن جعفر، فقال: يا سيدي، يبدأ بي لتكون حدة الحديد فيَّ قبلك.

قال: قلت: يهنئك، هذا عم أبيه..

فقطع له العرق.. ثم أراد أبو جعفر «عليه السلام» النهوض. فقام علي بن جعفر، فسوى له نعليه، حتى يلبسهما»[2].

وعن محمد بن الحسن بن عمار، قال: كنت عند علي بن جعفر،

---

(1) تهذيب التهذيب ـ ترجمة علي بن جعفر ـ ج7 ص293.

(2) البحار ج50 ص104 ورجال الكشي ص430 وقاموس الرجال ج6 ص437.

بن محمد جالساً بالمدينة. وكنت أقمت عنده سنتين، أكتب عنه ما سمع من أخيه ـ يعني أبا الحسن ـ إذ دخل عليه أبو جعفر، محمد بن علي الرضا المسجد، مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله». فوثب علي بن جعفر، بلا حذاء، ولا رداء، فقبل يده، وعظمه.

فقال له أبو جعفر «عليه السلام»: يا عم، إجلس رحمك الله.

فقال: يا سيدي، كيف أجلس، وأنت قائم؟

فلما رجع علي بن جعفر إلى مجلسه، جعل أصحابه يوبخونه، ويقولون: أنت عم أبيه، وأنت تفعل به هذا الفعل؟

فقال: اسكتوا، إذا كان الله عز وجل ـ وقبض على لحيته ـ لم يؤهل هذه الشيبة، وأهَّل هذا الفتى، ووضعه حيث وضعه، أنكر فضله؟!

نعوذ بالله مما تقولون، بل أنا عبد له»[1].

وفي نص آخر عنه: «أن رجلاً سأله عن أبي الحسن موسى، ثم عن الإمام الرضا «عليهما السلام»، فأخبره بموتهما..

فقال: «ومن الناطق من بعده؟».

قال: قلت: أبو جعفر، ابنه.

قال: فقال له: أنت في سنك وقدرك، وابن جعفر بن محمد؟! تقول هذا القول في هذا الغلام؟!

---

(1) البحار ج50 ص36 والكافي ج1 ص258 وقاموس الرجال ج6 ص437.

قال: قلت: ما أراك إلا شيطاناً.

قال: ثم أخذ بلحيته، فرفعها إلى السماء، ثم قال:

فما حيلتي إن كان الله رآه أهلاً لهذا، ولم ير هذه الشيبة لهذا أهلاً؟!»[1].

---

(1) إختيار معرفة الرجال (المعروف برجال الكشي) ص429، وقاموس الرجال ج6 ص436.

الفصل الثالث:

عواصف وأعاصير تقتحمهم

الفهارس 59

عواصف.. وأعاصير تقتحمهم:

وبعد كل ما تقدم.. فإن إلقاء نظرة فاحصة على طبيعة العصر الذي عايشته هذه الحالة المتميزة للإمام «عليه السلام»، ولطائفة الشيعة معه، تعطينا: أن هذه الطائفة تواجه خطراً داهماً، وأعاصير هوجاء عاتية، تقتحمها من خارج كيانها..

وهي من شأنها ـ لو تمكنت منها ـ :أن تقتلعها من جذورها، وترمي بها بعيداً، بعيداً، في متاهات النسيان، والانقراض، أو الغموض والإبهام، كما كان الحال بالنسبة لكثير من الفرق الأخرى التي لم تستطع الصمود، فتلاشت واضمحلت أمام ما هو أقل وأضعف بأضعاف كثيرة، مما واجهته هذه الطائفة..

وما يزيد الأمر خطورة، والمشكلة تعقيداً، ولاسيما بالنسبة للعامة من الناس، الذين لم يأخذوا من العلم بنصيب وافر، هو ذلك الإنفتاح الواسع لأرباب الملل والمذاهب، بعضهم على بعض، والإهتمام بطرح المسائل الفكرية، والعقائدية الدقيقة، والمحاولات الجادة من كل طرف لإلقاء الشبهات، ووضع علامات الإستفهام الكبيرة حول كل ما يرتبط بعقائد الفئات الأخرى، وكل نحلهم، وأفكارهم، وتصوراتهم..

حيث إن تلك الفترة كانت فترة نضج وتبلور، ثم تكريس للأفكار والمذاهب، التي يمكنها أن تثبت جدارتها في مقابل غيرها، ثم تفرض هيمنتها وقدرتها على استقطاب القطاع الأكبر والأوسع من الناس..

حتى إذا ما فشلت في ذلك، فإن مصيرها هو الإنكسار، ثم الدمار، والإندثار..

التشيع.. والحكام:

ومن المعلوم: أن هناك ضدية حقيقية قائمة بين حقيقة التشيع، وبين حكومة كل من عدا الأئمة «عليهم السلام»، فأساس التشيع قائم على الاعتقاد بالإمامة، الذي يعني أن كل حاكم سواهم «عليهم السلام»، ظالم معتد أثيم، متمرد على الله تعالى، عاص له، ولرسوله «صلى الله عليه وآله»، فلابد من محاربته، وإسقاطه بكل حيلة ووسيلة..

وهذا من شأنه: أن يحرك الحكام ضد كل من يتوهم في حقه التشيع، حيث يرون أن الصراع مع الشيعة والتشيع صراع فناء أو وجود، وحياة أو موت..

ولأجل ذلك تجد الحكام يلاحقون الشيعة تحت كل حجر ومدر، وفي كل سهل وجبل، كما أنهم يسعون لإبطال أمر الإمامة، بكل ما يملكونه من قوة وحول، لن يرضوا بأقل من التشكيك فيها، وإثارة الشبهات حولها..

موقع الحكام في هذا الصراع:

ولأجل ذلك: فإن من الطبيعي أن لا يكون الحكام آنئذٍ بمنأى عن ساحة الصراع الفكري، والعقائدي هذه، بل كانوا يرصدونها بدقة فائقة، ومهارة فريدة، لأنها كانت تعنيهم أكثر من كل أحد..

وكانوا يرون: أن عليهم أن يهتموا بالأمر اهتمامهم بمستقبلهم، وبحياتهم، ووجودهم، وبمصيرهم.. ويعملون ـ علناً تارة، وفي الخفاء أخرى ـ على تقوية ذلك الفريق الذي يجدون: أن التعامل معه لا يواجه بأية صعوبات، أو مشكلات تذكر.. فكيف إذا كانوا يرون أن في هذا التعامل ضمانة حقيقية وأكيدة لمستقبلهم بجميع آفاقه وحالاته وتقلباته..

إلا أن بعض هؤلاء الحكام ـ وفي طليعتهم المأمون العباسي، الذي كان أعظم الخلفاء العباسيين دهاء وحنكة، وأكثرهم علماً، وأبعدهم نظراً، وأعلمهم بالسياسة وأحابيلها[1] ـ قد رأوا: أن الظهور بمظهر المشجع والمناصر للفكر وللعلم، والحامي والمدافع عن حرية الكلمة، وعن قدسيتها، أمر يخدم قضيتهم ووجودهم في الحكم بصورة عامة ـ وذلك لأسباب مختلفة، لا مجال لبحثها الآن ـ مهما كان هذا الستار الزائف يخفي وراءه الكثير من الخداع، والتضليل، ثم التزييف الماكر لكثير من الحقائق، التي لا توافق سياساتهم، ولا تخدم

---

(1) راجع كتابنا: الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام. فصل: من هو المأمون.

مصالحهم[1]..

المعتزلة :

وبعد.. فإن ما تجدر الإشارة إليه، ويتميز بأهمية خاصة هنا، هو: أن المعتزلة كانوا في تلك الفترة بالذات في مرحلة نضجهم، وتكامل مدرستهم من الناحية الفكرية..

وقد رأت السلطة آنئذٍ: أن من مصلحتها أن تؤيدهم، وتشد من أزرهم، وتستفيد من موقعها السلطوي، ومن نفوذها، وسائر ما تملك من قدرات، مادية ومعنوية، في مجال ترسيخ وتثبيت خطهم، وضرب الفئات الأخرى بهم، وتحطيم نفوذها، وزعزعة موقعها، بنحوٍ، أو بآخر من خلالهم..

وخط الإعتزال هذا: يكاد يكون متطرفاً إلى حد كبير في اعتماده على العقل وقبول أحكامه، ورفض كل ما لا يتوافق معه، فكانوا يقيسون النصوص الدينية على العقل، فما أيده بشكل صريح قبلوه، وما عداه ردوه ورفضوه، أو تصرفوا به وأوّلوه.

ويقصدون بالعقل هو عقولهم هذه؛ القاصرة عن الوصول إلى حقائق

---

(1) راجع: المصدر السابق ص405 ـ 408 ففيه بعض ما يرتبط بهذا المقام. والذي يثير الإلتفات هو تناقضهم في مواقفهم، ففي نفس الوقت الذي يتظاهرون فيه بتشجيع العلم والفكر فإنهم يفرقون تلامذة الرضا، ويمنعون ابن عباس من التفسير والكلام.

الأمور، والتي تعتمد على وسائل إدراك، تبقى محدودة المجالات، كما أن عقولهم هذه لا تملك أية ضمانة من أن تتعرض للقهر والإبعاد من قبل سلطان الهوى، ونوازع الشهوة، وداعي الغريزة، وطغيان العاطفة، وما إلى ذلك..

طائفة الشيعة.. وموقعها:

وإذا نظرنا إلى طائفة الشيعة الإمامية، فسنجد: أنها تعتبر من أعرق الفرق وأشهرها، وأبلغها حجة، وأشدها في الصراع الفكري شكيمة.. حتى لقد بلغ من قوتها، وعظمة دعوتها: أن اضطرت السلطة للتعامل مع قائدها وزعيمها ـ وهو الإمام الرضا «عليه السلام»، الذي اغتالته بالأمس ـ بذلك الأسلوب الخاص، والنادر جداً، والفريد من نوعه.. وذلك بالبيعة له بولاية العهد، حتى إذا رأوا أنهم قد فشلوا في تحقيق مقاصدهم، بادروا إلى التخلص منه بالطريقة التي عرفها كل أحد، وهي دس السم إليه، حسبما أوضحناه، في كتابنا: «الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام».

وذلك إن دل على شيء، فإنما يدل على قوة حجة الأئمة «عليهم السلام»، ثم على مدى نفوذ وقوة فرقة الشيعة الإمامية، وتأثير كلمتها، وآرائها في الناس، وفي عواطفهم، ومواقفهم.

إلى حد أن سائر الفرق، أصبحت ترى فيها: أنها أقوى منافسٍ فكري عقائدي لها، وأنها هي الأوضح حجة، والأبين دليلاً، وأنها لو أفسح لها المجال، فسوف تكتسح الساحة، وتستقطب مختلف قطاعات

الأمة، بما تملكه من فكر حي، وبما لها من أصالة متجذرة في أعماق الفطرة، والعقل، والوجدان.

وهذا معناه: أن أي حدث عقائدي فريد من نوعه، وخطير تتعرض له هذه الفرقة بالذات.. كصيرورة الإمامة إلى من هو في سن السبع أو الثمان سنوات.. لسوف يلفت أنظار خصومها، ويشد عقولهم إليه، وسوف تغريهم السلطة، وطبيعة الحدث معاً، بالاستفادة من هذه الحالة العارضة، لشن هجوم عنيف وحاسم، يستهدف الفكر العقائدي لهذه الفرقة في الصميم..

وهذا الهجوم سيثلج صدر السلطة، التي لن تألوا جهداً، ولن تدخر وسعاً في المساعدة عليه، وخلق الظروف الملائمة لتحقيق أكبر قدر من النجاح له.. لأنه ينسجم كل الإنسجام مع أطروحتها الرامية للتخلص من الفكر العقائدي لهذه الفرقة، ومحوه من الوجود بالكلية..

وإذا ما أتيح لهم وللسلطة ذلك، فإن جميع فرص النجاح على الصعيد العام، لسوف تكون متاحة لهم، ويحق لهم ـ والحالة هذه ـ أن يحلموا بمستقبل زاهر، يحمل لهم معه كل الامتيازات والمكاسب، دونما رقيب، ودونما منازع، حيث لم يعد ثمة ما يمكن أن يعتبر خطراً جدياً يتهدد المستقبل العقائدي لهؤلاء، والسياسي لأولئك على حد سواء..

نعم.. إن معاصرة هذه الفرقة لتلك النهضة الفكرية القوية جداً منذ بدايتها، ولمدة طويلة، في أعظم الأمور حساسية، وهو أمر الإمامة

والقيادة.. وفي حالة مثيرة للانتباه، لافتة للنظر، وهي تشير للخصوم بأن هذه الفرقة في أشد حالات الضعف والوهن ـ بنظرهم ـ المتمثل في صغر سن الإمام الجواد «عليه السلام»، ثم الإمام الهادي عليه الصلاة والسلام، والإمام الحجة المنتظر صلوات الله عليه من بعده.

ثم استمرار هذه الحالة لسنوات كثيرة، ترافق ذلك الانفتاح والتجاذب الفكري ـ إن ذلك ـ من شأنه أن يهيء الفرصة، ويثير الشهية لطرح ما أمكنهم من الأسئلة التشكيكية، وإثارة كل ما يقع تحت يدهم من الشبهات في أعظم قاعدة دينية، تخاض من أجلها اللجج، وبذلت، وتبذل دونها المهج، حتى ليقول الشهرستاني:

«وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية، مثل ما سل على الإمامة في كل زمان»[1].

ولهم أن يتخيلوا كيف أن ذلك سيجبر فرقة الشيعة الإمامية إلى الإنسحاب من الساحة، لتقبع في زوايا الخمول، وليؤول أمرها ـ من ثم ـ كما آل أمر كثير غيرها إلى الإضمحلال والتلاشي.

الشيعة والعقل:

وبعد.. فقد قدمنا: أن فرقة الشيعة الإمامية تهتم بالعقل وأحكامه إلى حد بعيد، وترى أن جميع قضاياها وأحكامها قد دل عليها الدليل القاطع، والبرهان الساطع، وأنها منسجمة مع قضاء الفطرة السليمة،

---

(1) الملل والنحل ج1 ص24.

وحكم العقل الصريح، وما يرضاه الوجدان الصحيح.. وتعتز بهذا الأمر، وهي تتباهى وتفخر بهذا الأمر على كل خصومها، مؤكدة على أنها لا تحيد عن هذا الخط، ولا تتنازل عنه، مهما كانت الظروف، وأياً كانت النتائج..

الشيعة في قلب المعترك:

وهي أيضاً فرقة تعيش في قلب مقر الخلافة، حيث العاصمة العلمية والثقافية، والقلب النابض بالحركة والحياة، والمفعمة بالنشاط والحيوية.. بل هي موجودة في كل موقع يوجد فيه العلم، والفكر، والمعرفة، والثقافة..

وهي فرقة ليست معزولة في الأصقاع النائية، ولا هي منطوية على نفسها، ولا تخفي شيئاً من عقائدها وأفكارها.. ولم تترك شيئاً من ذلك إلا وقد صرحت به، وأعلنت عنه..

وقد كان أعلامها وعلماؤها لا يزالون يحاورون جميع خصومهم بالدليل وبالحجة، انطلاقاً من دار الخلافة، ووصولاً إلى كل ناد، بل إلى كل بيت يعيش الهم العلمي، ويتعاطى قضايا العقيدة والإيمان..

ماذا لو فشل الشيعة؟:

فلو قدر لهذه الفرقة أن تفشل في تسجيل نصر حاسم لها في هذا الظرف بالذات، الذي يرى الناس فيه: أنها تتمتع بحرية الحركة والكلمة معاً، ثم يكون فشلها في أكثر القضايا حساسية، وأعظمها خطراً، وأبعدها أثراً، والتي هي المحور والأساس لسائر القضايا،

وفي مختلف المجالات.. فإن فشلها هذا سيكون حاسماً، ونهائياً. ولن تقوم لها بعد أية قائمة.. ولاسيما في هذه الفترة التي كانت فيها سائر العقائد والفرق، تحاول إثبات وجودها، وتكريس خطها في أكبر قطاع ممكن في الأمة الإسلامية، في مختلف أرجاء العالم الإسلامي..

لأن الفرقة التي تعجز عن ذلك، فلسوف تفقد فرصة العيش والبقاء، ولسوف يكون مصيرها التلاشي، والإندثار، أمام قوة اندفاع سائر الفرق..

وإن هذا الفشل لو أصاب الطائفة الإمامية، فإن من شأنه أن يضعها ـ شاءت أم أبت ـ أمام الخيارات الصعبة التالية:

1 - أن يرمي بها بعيداً إلى الأصقاع النائية، حيث الجهل، والحرمان، والتخلُّف، والبداوة، بعيداً عن مناطق الصراع والتحدي.. كما حصل لعامة فرق الخوارج، التي كانت عامة مبادئها منافرة لأحكام العقل، والفطرة، والوجدان، فلم تستطع الثبات أمام الفكر، والمنطق، والعلم، فانحسرت إلى تلك المناطق البعيدة الخاوية، والربوع الخالية..

2 - أن تعدِّل الكثير من أفكارها وعقائدها، وتجعلها تتوافق وتتلاءم، أو على الأقل لا تتنافر، أو تتناقض، مع النظرة التزويرية العامة، التي ارتضاها الحكام للناس، والمحمية بحراب الإرهاب، والتجويع، أو الإغراء والتطميع..

وهذا بالذات هو ما فعلته فرقة الإباضية من الخوارج، كما

أوضحناه في كتابنا: «**علي عليه السلام والخوارج**»..

3 ـ أن تتحول إلى عقيدة باطنية، منغلقة على نفسها، وتعيش في ظلام الإبهام والغموض، ولا تجرؤ على الظهور إلى النور، ومعالجة الصراع، على أساس الدليل والحجة، حتى بالنسبة لغالب من ينتمون إليها ـ اسمياً أو وراثياً ـ فضلاً عن معالجة الصراع والتحدي على الصعيد الفكري العام..

وهذه الخيارات كلها تتناقض مع أساس أطروحة التشيع، ومع مبادئه.. ولا يمكن أن ترضى طائفة الشيعة بأن يمر خيال ذلك في وهمها، فضلاً عن أن ترضى به كأمر واقع في حياتها..

ماذا لو نجحت فرقة الشيعة؟:

ومن الجهة الأخرى..

فإن هذه الفرقة ـ فرقة الإمامية من الشيعة ـ لو استطاعت أن تجتاز هذه المرحلة المصيرية البالغة الحساسية. وتمكنت من أن تربح المعركة الفكرية، وأن تحتفظ بدورها الطليعي، على الصعيد الفكري العام، وعلى صعيد الواقع ونفس الأمر.. فإنها تكون قد برهنت بشكل قاطع ونهائي على حقانيتها، وأثبتت جدارتها، ليس فقط بالنسبة لذلك الجيل الذي عاصر ذلك الحدث المتميز، وعايش تلك الإنطلاقة الفكرية في أوج قوتها.. وإنما للأجيال الأخرى، التي سوف تأتي فيما بعد أيضاً..

وما ذلك.. إلا لأن انتصار هذه الفرقة، في هذا الظرف بالذات، قد

جاء على خصوم، هم في أفضل حالاتهم، وأتمها، وأقواها، ولاسيما فكرياً، وسياسياً، وفي غير ذلك من مجالات، واتجاهات..

فهم يستفيدون من هيبة السلطان، ومن كل ما تحت يده من قوة عسكرية وإقتصادية لدولة هي الأقوى في العالم، والأكثر استقراراً، والأوسع نفوذاً، والأعظم نشاطاً ثقافياً، ومخابراتياً، ويحكمها، ويدبر شؤونها، ويكيد خصومها أعظم خلفاء بني العباس في العلم والدهاء، وفي السياسة، والمكر..

ثم يرى الناس: من جهة أخرى.. أن أعظم الفرق شأناً، من حيث العلم والفكر، تمر في أدق مرحلة، وأخطرها، وتواجه خصومها وهم في أقصى درجات القوة ـ تواجههم ـ وهي في أشد حالات الضعف، مع عدم وجود ما يمنع من الإحتكاك المباشر والصريح، وإبراز كل ما يملك أولئك وهؤلاء، من طاقات وقدرات، مع وجود اندفاع غير عادي من قبل خصومها لمواجهتها، وللإنقضاض عليها وتمزيقها، وإسقاط أطروحتها..

استغلال صغر سن الإمام عليه السلام:

نعم.. وهذا هو ما حصل بالفعل، فلقد خاض المناوئون لخط الإمامة، في أمر سن الإمام عليه التحية والسلام، وجعلوا ذلك من جملة المآخذ، وسعوا عن طريق ذلك، إلى التشكيك في الإمامة، والزعامة، والنيابة له «عليه السلام» عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، في قيادة الأمة، وهدايتها..

ولقد سأل البعض، الإمام الجواد «عليه السلام»، فقال له: «إنهم يقولون في حداثة سنك؟

فقال: إن الله تعالى أوحى إلى داود أن يستخلف سليمان، وهو صبي يرعى الغنم الخ..»[1].

«وقال له علي بن حسان: يا سيدي، إن الناس ينكرون عليك حداثة سنك؟!

فقال: وما ينكرون من ذلك قول الله عز وجل؟!.. لقد قال الله عز وجل لنبيه «صلى الله عليه وآله»: **(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي)**.. فوالله، ما اتبعه إلا علي، وله تسع سنين. وأنا ابن تسع سنين»[2].

وأخيراً.. فإن البعض قد صرح في هذا المقام بقوله:

«مات أبوه، فخلفه في الإمامة، وهو ابن تسع سنين، فأنكر جمهور المسلمين على الشيعة ولاية الأئمة، والأخذ عنهم، وهو في الصبا، ولاسيما أن العادات العربية تجعل للسن أهمية في ولاية الأمور، فكانت إمامته ـ ولم يبلغ سن الرشد ـ أخطر مشكلةٍ واجهت

---

(1) الكافي ج1 ص314.

(2) الكافي ج1 ص415، فاستدلاله عليه السلام ناظر إلى ما هو المعروف عند غير الشيعة، من قلة سن علي عليه السلام حين إسلامه، فهو استدلال إلزامي للطرف الآخر بما يعتقده بالدرجة الأولى..

الشيعة، بالنسبة لشخص الجواد».. [1].

النتيجة الحاسمة:

نعم.. وقد كانت النتيجة الحاسمة هي: أن هذه العقيدة التي ظن الناس فيها هذا الضعف، قد خرجت من هذا المخاض العسير أكثر تبلوراً، وأشد تألقاً ووضوحاً، وأعظم ثباتاً ورسوخاً.. وقد تجاوزت كل عوامل التحدي، وقهرت كافة رموز الطغيان..

إلا أن ما ينبغي لفت النظر إليه هنا هو: أن النتيجة، وإن كانت على الصعيد الفكري هي ذلك، إلا أنها لم تكن حاسمة ولا نهائية في مجال التصفية التامة والشاملة للعقائد والأفكار المناوئة، لأن تلك العقائد كانت محمية ومتبناةً من قبل السلطة. كما ألمحنا إليه فيما سبق.

ولكن مما لا شك فيه هو: أن ذلك الإنتصار في المجال العقائدي والفكري، قد استطاع أن يضع علامة استفهام كبيرة على جدارة وقدرة جميع الاتجاهات الأخرى على اختلافها وتنوعها، على تقديم الحلول الجذرية، والصحيحة لعلامات الإستفهام الكبيرة التي كان الشيعة الإمامية يطرحونها.. خصوصاً فيما يرتبط بصحة وسلامة تلك العقائد والأفكار والنحل، من وجهة نظر علمية وإيمانية..

فإن تلك الاتجاهات وإن كانت قادرة على التهويش، والتطبيل والتزمير، ثم التزييف والتزوير، فضلاً عن التهميش والتشهير، فيما

---

(1) نظرية الإمامة ص390.

يرتبط بهذا الاتجاه أو ذاك.

ولكنها لم تكن جميعها تملك أي دليل مقنع أو مقبول، على أحقية وصحة دعواها، التي تخالف مذهب الشيعة الإمامية، الذي كان محروساً بالإمامة وبالإمام، على مر العصور والدهور..

الفصل الرابع:

الإمامة.. في معرض الاغتيال

الإمامة.. في مضمونها العام:

إن الإمامة عند أهل البيت وشيعتهم هي ذلك الامتداد الحي لمسيرة النبوة، في قيادتها الإلهية للأمة نحو هدفها الأسمى.

ثم هي: المعين الذي لا ينضب للفكر الذي يمد الأمة بالري، وبالحياة، ويستمد أصالته، وصفاءه من حقائق الإسلام، ومن القرآن الكريم، وكذلك من النبي العظيم «صلى الله عليه وآله»، الذي لا ينطق عن الهوى.

من هنا: كان لا بد من أن يعلن من له الحق بذلك، من موقع معرفته العميقة بأحوال البشر، بقبوله لهذا الامتداد، وبتفويضه تلك المهام الكبرى لمن يرى فيهم كامل الجدارة والأهلية لتحمل مسؤولياتها الجسام.

ثم لابد للعالم بالسرائر، من أن يُعلم الناس، كل الناس، بالمصدر الصافي والأصيل، الذي يمتلك الرصيد الكافي من العلوم والمعارف، لتغذية حركة الفكر، وتزويد العقل والروح بما لابد منه ولا غنى عنه في مسيرة الإنسان التكاملية الرائدة، نحو هدفه المنشود الأسمى..

ركنان تقوم عليهما الإمامة:

ومن هنا: فقد كان طبيعياً أن يكون صرح الإمامة قائماً على

ركنين، وأساسين اثنين[1]، لو فقد أي منهما، فإنها تفقد مضمونها من الأساس. وهذان الركنان هما:

الأول: النص.

الثاني: العلم الخاص، الذي اختُصَّ به الأئمة «عليهم السلام» وأخذوه بالإلهام أو عن آبائهم عليهم الصلاة والسلام، عن النبي «صلى الله عليه وآله».

هذا بالإضافة: إلى سائر ما يؤكد ما هم عليه من الجدارة والأهلية، والقدرة على النهوض بأعباء المسؤولية..

الأمر الذي يعني: توفر الخصائص والملكات لمثل هذا المقام العظيم، وكل ما من شأنه أن يحفظ المسيرة، ويضمن سلامة الاتجاه، كصفة «العصمة» والتدبير، والحكمة، والشجاعة، والكرم، وما إلى ذلك..

ومن أجل ذلك: نجد اهتمام الأئمة الأطهار عليهم الصلاة والسلام

---

(1) أضاف المحقق البحاثة، الشيخ علي الأحمدي حفظه الله ـ حينما قرأ هذا البحث ـ ركناً ثالثاً، وهو: «العصمة».

ونقول له: لا شك في أن العصمة ركن في الإمامة.. ولكن نظرنا هنا إلى خصوص الأركان التي من شأنها أن تكون حاسمة في مجال إثبات الإمامة، وتشييد صرحها في مقابل الخصوم وغيرهم على حد سواء.. حيث لابد لكل أحد من التسليم والبخوع لهذين الركنين في مختلف الظروف، وسائر الأحوال..

بإبراز تلكم الأمور، ولاسيما ذينك الركنين الهامين في المناسبات المختلفة، ولا يثنيهم عن ذلك احتمالات مواجهة المشاق والتعرض للأخطار ـ نتيجة ذلك ـ ، مهما عظمت..

الاهتمام بالنص:

والشواهد على اهتمام الأئمة «عليهم السلام» بهذين الركنين لا تكاد تحصى كثرة، ويكفي أن نشير هنا: إلى قضية استشهاد أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام بالصحابة لحديث الغدير، في موارد كثيرة: في رحبة الكوفة، وفي صفين، ويوم الشورى، ويوم الجمل.. حيث كان يشهد له به عدد كبير من الصحابة والبدريين.

كما أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد جمع الصحابة في منى، وذكّرهم بفضائل أبيه، وبحديث الغدير، وأفاعيل معاوية[1]..

كل ذلك.. من أجل تركيز قضية الإمامة وتثبيتها، وللحفاظ على

---

(1) راجع: الغدير للعلامة الأميني ج1 ص159 - 213 ودلائل الصدق، وكتابنا: الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام ص90 فيما بعدها.. بالإضافة إلى سائر الكتب التي تعرضت لبحث قضية الإمامة، وكتب التراجم، والحديث والتاريخ، التي تعرضت لذكر الفضائل، والنصوص النبوية المرتبطة بالإمامة، وغير ذلك مما يمكن أن تذكر فيه هذه الأمور.. وليراجع: حول المناشدة بحديث الغدير، الجزء الأول من كتاب الغدير، وأيضاً أنساب الأشراف ج2 ص159 بتحقيق المحمودي وذكر أخبار أصفهان ج1 ص107.

النصوص والوقائع المثبتة لها من الضياع، أو من تحريف المحرفين، وعبث المبطلين أو لغير ذلك من أهداف.

الاهتمام بالعلم الخاص:

هذا بالإضافة: إلى التصريحات الكثيرة للأئمة عليهم الصلاة والسلام، التي يظهرون فيها: أن عندهم العلم الخاص، وهو علم الإمامة الذي اختصهم به النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» بأمر من الله جل وعلا.. كتلك الأحاديث التي تقول: إن عندهم الجفر، والجامعة، وما إلى ذلك مما يجده المتتبع في المصادر والمراجع الكثيرة المتنوعة.

وتجد في الكافي، وفي بصائر الدرجات، وفي بحار الأنوار، وفي إحقاق الحق وملحقاته، وفي سائر المجاميع الحديثية، ما يعد بالمئات والألوف، بمختلف الصيغ، ومن جميع الصنوف..

وضوح النص:

ومهما حاول خصوم أهل البيت «عليهم السلام» إنكار أو دفع النص على أمير المؤمنين، وعلى الأئمة الأطهار من ولده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.. ومهما حاولوا تخريجه أو تأويله بوجوه بعيدة يأباها الطبع، ويمجها الذوق.

فإنهم لم ولن يتمكنوا من إنكار الحديث المتواتر، عندهم، والذي يتحدث: أنه يكون بعد النبي «صلى الله عليه وآله» اثنا عشر خليفة، أو أميراً، أو إماماً، كلهم من قريش، أو من بني هاشم.

وفي كثير من النصوص: تصريح بأسمائهم، أو بأسماء بعضهم عليهم الصلاة والسلام.

قال القندوزي الحنفي: «ذكر يحيى بن الحسن في كتاب العمدة، من عشرين طريقاً، في أن الخلفاء بعد النبي «صلى الله عليه وآله» اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش، في البخاري من ثلاثة طرق، وفي مسلم من تسعة طرق، وفي أبي داود من ثلاثة طرق، وفي الترمذي من طريق واحد. وفي الحميدي من ثلاثة طرق»[1].

وهناك كتب كثيرة تكفلت بجمع طرق هذا الحديث وسواه، ومنهم العلامة المتتبع الشيخ لطف الله الصافي، الذي جمع في كتابه مئات الأحاديث، بالطرق الكثيرة، سنيِّها وشيعيِّها، وكلها تؤكد خلافة وإمامة الاثني عشر من بعده «صلى الله عليه وآله» [2].

وأخيراً.. فقد صرح السيوطي بأن عبارة: «يكون خلفي اثنا عشر خليفة» مجمع على صحتها، وواردة من طرق عدة[3].

من هم الخلفاء الاثنا عشر؟!:

هذا وقد رأينا: أنهم ـ أعني أولئك المتمحلين ـ حين يريدون تعيين

---

(1) ينابيع المودة ص444.

(2) راجع: منتخب الأثر من ص10 حتى ص140. وإعلام الورى ص381 - 386.

(3) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص61.

هؤلاء الخلفاء الاثني عشر، يخبطون خبط عشواء في الليلة المطيرة الظلماء.. فراجع تاريخ الخلفاء للسيوطي.. الذي لم يستطع أن يجزم بشيء في مجال التعرف على هؤلاء الاثني عشر، حيث استطاع أن يعد ثمانية خلفاء فقط، وجد فيهم ما رآه مبرراً لجعلهم منهم، وهم الخلفاء الأربعة، والحسن «عليه السلام» ومعاوية، وابن الزبير، وعمر بن عبد العزيز، قال: «ويحتمل أن يضم إليهم المهتدي من العباسيين، لأنه فيهم كعمر بن عبد العزيز في بني أمية، وكذلك الظاهر، لما أوتيه من العدل، وبقي الاثنان المنتظران: أحدهما المهدي، لأنه من آل بيت محمد «صلى الله عليه وآله»[(1)].

ولا ندري ما المبرر لهذه الفجوات الواسعة، التي تركها شاغرة، حيث انتقل من معاوية إلى عمر بن عبد العزيز، ثم منه إلى المهدي أو المهتدي العباسي!! وهكذا.. فهل يمكن أن يكون هذا مقبولاً لدى العقلاء، ولدى أهل اللسان في فهم نص كهذا؟!! أم أنهم يفهمون الاتصال، وعدم الفصل!!

ومن جهة أخرى: فقد أجهد العسقلاني نفسه للخروج من هذه المعضلة، بحيث يبقى محتفظاً بما هو أقل القليل من ماء الوجه.

فلم يفلح إلا بإضافة المزيد من الشبهات والتعميات على البسطاء والسذج..

---

(1) المصدر السابق ص12.

أما القاضي عياض، فقط طبق الحديث على الخلفاء الأربعة، وخلفاء بني أمية الذين منهم يزيد لعنه الله تعالى!!.. متجاهلاً بذلك تصريح بعض الروايات بأنهم كلهم من بني هاشم.. وتصريح عدد آخر بأسمائهم «عليهم السلام»، وتصريح طائفة أخرى، بأنهم «كلهم يعمل بالهدى ودين الحق» إلى غير ذلك من خصوصيات تكذب وتبعد ما ادّعاه..

ولكننا نجد في المقابل: أن فيهم من ظهر الحق على لسانه، ونطق بالصدق ولم يخش في الله لومة لائم.. فقد قال القندوزي الحنفي:

«قال بعض المحققين: إن الأحاديث الدالة على كون الخلفاء بعده «صلى الله عليه وآله» اثنا عشر، قد اشتهرت من طرق كثيرة، فبشرح الزمان، وتعريف الكون والمكان، عُلِمَ: أن مراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» من حديثه هذا: الأئمة الاثنا عشر من أهل بيته، وعترته.

إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه، لقلتهم عن اثني عشر.

ولا يمكن أن يحمله على الملوك الأموية لزيادتهم على اثني عشر، ولظلمهم الفاحش، إلا عمر بن عبد العزيز، ولكونهم غير بني هاشم، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: كلهم من بني هاشم في رواية عبد الملك عن جابر. وإخفاء صوته «صلى الله عليه وآله» في

هذا القول[1] يرجح هذه الرواية، لأنهم لا يحسِّنون خلافة بني هاشم.

ولا يمكن أن يحمله على الملوك العباسية، لزيادتهم على العدد المذكور، ولقلة رعايتهم الآية: **(قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)**..[2] وحديث الكساء..

فلابد من أن يحمل هذا الحديث على الأئمة الاثني عشر، من أهل بيته وعترته «صلى الله عليه وآله»، لأنهم كانوا أعلم أهل زمانهم، وأجلهم، وأورعهم، وأتقاهم، وأعلاهم نسباً، وأفضلهم حسباً، وأكرمهم عند الله. وكان علمهم عن آبائهم متصلاً بجدهم «صلى الله عليه وآله»، وبالوراثة واللدنيّة، كذا عرفهم أهل العلم والتحقيق، وأهل الكشف والتوفيق.

ويؤيد[3] هذا المعنى، أي أن مراد النبي «صلى الله عليه وآله» الأئمة الاثنا عشر من أهل بيته، ويشهده ويرجحه: حديث الثقلين، والأحاديث المتكثرة، المذكورة في هذا الكتاب وغيرها..

وأما قوله «صلى الله عليه وآله»: كلهم تجتمع عليه الأمة، في رواية عن جابر بن سمرة، فمراده «صلى الله عليه وآله»: أن الأمة تجتمع على الإقرار بإمامة كلهم وقت ظهور قائمهم المهدي رضي الله

---

(1) كما جاء في عدد من النصوص، التي ذكرها في ينابيع المودة قبل ذلك.

(2) الآية 23 من سورة الشورى.

(3) الظاهر: أن كلام ذلك المحقق قد انتهى، وبدأ من هنا فصاعداً كلام القندوزي الحنفي نفسه.

عنهم»[1] .. انتهى.

أو أن الأمة تجتمع على الإقرار بفضلهم، وعلمهم، وتقواهم، كما سننقله عن الجاحظ في أواخر الفصل السادس. إن شاء الله تعالى..

وحسبنا ما ذكرناه هنا، فإن استقصاء البحث في هذا الأمر يحتاج إلى توفر تام، وتأليف مستقل..

غير أن لنا كلاماً في حقيقة ما يرمي إليه هؤلاء من القبول بتطبيق حديث الأئمة الاثني عشر على أئمة الشيعة الإمامية ذكرناه في كتابنا: «**ابن عربي سني متعصب**»..

حيث ذكرنا هناك: أن هؤلاء يهدفون إلى الحفاظ على عقيدة التسنن، ولكنهم لا يزيدون على الاعتراف بأنهم مجرد أئمة في العلم والدين، ولكن لا ربط لإمامتهم بالحكم والحاكمية، فهم يشبهون أولياء الصوفية عندهم..

وبقية الكلام موكول إلى الكتاب المشار إليه آنفاً..

علم الإمامة طريق لإثبات النص:

وبعدما تقدم نقول:

إنه كما يمكن إثبات النص الخاص على إمامة الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بالنقل القطعي عن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله».. كذلك، فإنه إذا لج الخصوم بالتكذيب والجحود، وحاولوا

---

(1) ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص446.

التعتيم على ذلك السيل الهائل من النصوص القطعية، أو الاحتماء بالتأويلات السقيمة والباردة، فإنه يمكن[1] إثبات الإمامة، والنص نفسه، عن طريق إظهار جانب من العلوم التي اختصهم الله بها، ليكون ذلك بمثابة شاهد صدق على صحة النص وواقعيته.

ولعل ذلك هو أحد أسباب اهتمام الإمام علي «عليه السلام»، بإخبار الناس الأمور الغيبية، خصوصاً في حربه مع الخوارج، الذين كانوا أعراباً جفاة، وأحقَّاء الهام سفهاء الأحلام.. ليؤكد لهم إمامته عن طريق إثبات امتلاكه لعلم الإمامة.. بعد أن كان يؤكدها عن طريق إثبات النص، فيطلب الشهادة لحديث الغدير من الناس، فيشهد له به طائفة من الصحابة الذين حضروا الواقعة..

اغتيال الإمامة: أو اغتيال الإمام:

نعم.. وذلك هو السر الحقيقي، الكامن وراء إصرار الحكام وغيرهم من الخصوم، من أرباب الفرق الأخرى، على اغتيال الإمامة، تارة عن طريق التشكيك بالنصوص سنداً أو دلالة، وأخرى عن طريق إفراغها من محتواها الفكري والعلمي أيضاً..

حتى إذا ما فشلوا في ذلك، اتجهوا نحو أسلوب اغتيال شخصية الإمام عن طريق التزوير، والإشاعات الكاذبة، وتلفيق التهم الباطلة..

---

(1) ويشهد لذلك الأحداث الكثيرة الدالة على المنع عن ذكر فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ونسبة فضائله لغيره.

حتى إذا ما فشلوا في ذلك أيضاً، اعتمدوا أسلوب اغتياله جسدياً، علناً تارة، وبالخفاء أخرى، في عملية معالجة وقتية لما يرون فيه مصدر خطر حقيقي على واقعهم، الذي يهتمون ـ لأكثر من سبب ـ بالحفاظ عليه في حياتهم الحاضرة، وتثبيت دعائمه، وتقوية أركانه في المستقبل كذلك.

المأمون نموذجاً:

ولعل أقرب مثال يمكن أن نسوقه هنا، وله ارتباط وثيق في موضوع بحثنا هذا، هو تلك الطريقة التي تعامل بها المأمون مع الإمام الرضا «عليه السلام» أولاً، ثم مع الإمام الجواد «عليه السلام» ثانياً، حيث حاول أولاً الكيد للإمام الرضا «عليه السلام» بالبيعة بولاية العهد بعده[1].

ثم حاول اغتيال الإمامة ـ علمياً ـ بأسلوبه الخاص، والفريد من نوعه[2]..

حتى إذ فشل هذا الأسلوب وذاك، كان له، ولأخيه المعتصم من بعده موقف آخر، ومن نوع آخر، من هذين الإمامين العظيمين

---

(1) راجع حول هذا الموضوع كتابنا: الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام.

(2) سيأتي بعض ما يرتبط بالإمام الجواد عليه السلام.. أما ما يخص الإمام الرضا عليه السلام، فقد تحدثنا عنه في كتابنا: الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام.

صلوات الله وسلامه عليهما، وعلى آبائهما الطيبين الطاهرين. وهو اغتيالهما جسدياً، وهكذا كان..

والمأمون هو أعظم خلفاء بني العباس خطراً، وأكثرهم علماً، وأبعدهم نظراً، وأشدهم مكراً، وأخفاهم مكيدة، كما صرحت به النصوص التاريخية العديدة[1].

وهذا الرجل بالذات هو الذي قام بأكثر من محاولة في سبيل تحقيق النصر النهائي والحاسم على الفكر الإمامي الشيعي.

وقد أدرك هذا الرجل خطأ أسلافه في تعاملهم مع أئمة أهل البيت «عليهم السلام».. فحاول أن يعتمد أسلوباً جديداً وفريداً من نوعه، يخفي وراءه مكراً أشد، وكيداً أعظم..

اتق الله يا ذا العثنون:

فمن مظاهر محاولات المأمون اغتيال شخصيته «عليه السلام»، ما تظهره القضية التالية:

قال محمد بن الريان: «احتال المأمون على أبي جعفر «عليه السلام» بكل حيلة، فلم يمكنه فيه شيء، فلما اعتل، وأراد أن يبني عليه ابنته دفع إليه مائة وصيفة، من أجمل ما يكون، إلى كل واحدة منهن جاماً فيه جوهر، يستقبلون أبا جعفر، إذا قعد في موضع الإختان.. فلم يلتفت إليهن..

(1) راجع: الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام فصل: من هو المأمون..

وكان رجل يقال له: مخارق، صاحب عود، وصوت، وضرب، طويل اللحية، فدعاه المأمون..

فقال: يا أمير المؤمنين، إن كان في شيء من أمر الدنيا، فأنا أكفيك أمره.

فقعد بين يدي أبي جعفر «عليه السلام»، فشهق شهقة اجتمع إليه أهل الدار، وجعل يضرب بعوده، ويغني.. فلما فعل ساعة، وإذا أبو جعفر «عليه السلام»، لا يلتفت إليه، ولا يميناً، ولا شمالاً، ثم رفع رأسه إليه، وقال: اتق الله يا ذا العثنون!

قال: فسقط المضراب من يده والعود، فلم ينتفع بيده إلى أن مات.

قال: فسأله المأمون عن حاله.

قال: لما صاح بي أبو جعفر فزعت فزعة لا أفيق منها أبداً[1]..

نعم.. وهذا هو جلال الإيمان، وعظمة ورهبة، ووقار الإسلام..

مخارق، أو ابن مخارق:

ولكن يلاحظ: أن الرواية قد نصت على أن مخارقاً لم ينتفع بيده إلى أن مات..

وليس في ما بأيدينا من مصادر ما يشير إلى أن مخارقاً كان ذا عاهة في يده.. فلعل التاريخ قد أهمل التعرض لهذا الأمر، لعدم توفر

---

(1) الكافي ج1 ص494 - 495 والمناقب لابن شهرآشوب ج4 ص396 والبحار ج50 ص61 - 62.

الدواعي للإشارة إليه، أو كان ثمة داعٍ لإخفائه، كما نراه في كثير من الأمور الأخرى..

أو لعل اسم مخارق قد جاء على سبيل الغلط والاشتباه، ويكون صاحب القضية شخصاً آخر، كما ربما يشير إلى محاولة الرواية إعطاء المواصفات له، ومخارق كان له من الشهرة ما يجعله في غنى عن ذكر هذه المواصفات..

ولربما يكون صاحب القضية هو: هارون بن مخارق، فيكون في الرواية سقط من قبل النساخ. هذا على تقدير أن يكون هارون هذا، كان كأبيه يتعاطى صنعة الضرب والغناء.

استجابة دعائه عليه السلام:

وكما أن هناك ما يدل على أن محاولات أخرى قد بذلت للمساس بقداسته «عليه السلام»، فكانت النتيجة هي ظهور وتأكيد قداستهم، بما يصنعه الله تعالى بأعدائهم، والمتجرئين عليهم، فلاحظ الرواية التالية: قال ابن سنان:

دخلت على أبي الحسن «عليه السلام»، فقال: يا محمد، حدث بآل فرج حدث؟

فقلت: مات عمر.

فقال: الحمد لله على ذلك.

أحصيت له أربعاً وعشرين مرة.

ثم قال: أولا تدري ما قاله لعنه الله لمحمد بن علي أبي؟

قال: قلت: لا.

قال: خاطبه في شيء: قال: أظنك سكران.

فقال أبي: اللهم إن كنت تعلم أني أمسيت لك صائماً، فأذقه طعم الحَرَبِ، وذل الأسر.

فوالله ما ذهبت الأيام حتى حرب ماله، وما كان له، ثم أخذ أسيراً، فهو ذا مات..[1].

اغتيال علم الإمامة:

ثم حاول اغتيال الإمامة بإفراغها من محتواها العلمي، فصار يجمع العلماء، وأهل الكلام، ولاسيما من المعتزلة، وهم أصحاب جدل وكلام، وتنبُّهٍ للدقائق، ليحدقوا بالإمام الرضا «عليه السلام»، ويكسروه في محاوراتهم ومجادلاتهم، في أعظم ما يدعيه هو وآباؤه من العلم الخاص بآثار النبي «صلى الله عليه وآله» وعلومه.. لكي ينهار المذهب الشيعي بانهيار فكرة الإمامة فيه، ويكون بذلك قد قضى على أعظم مصدر للمشاكل والأخطار، التي يواجهها هو وغيره من الحكام الغاصبين والمتجبرين.. والنصوص التالية تدل على ذلك:

1 ـ قال الصدوق: «كان يجلب على الإمام «عليه السلام» من متكلمي الفرق، وأهل الأهواء المضلة كل من سمع به، حرصاً على

---

(1) المناقب لابن شهرآشوب ج4 ص397 والبحار ج50 ص62 و63.

انقطاع الرضا «عليه السلام» عن الحجة مع واحد منهم»[1].

2 - وقال أبو الصلت: «جلب عليه المتكلمين من البلدان، طمعاً في أن يقطعه واحد منهم، فيسقط محله عند العلماء، وبسببهم يشتهر نقصه عند العامة، فكان لا يكلمه خصم من اليهود، والنصارى، والمجوس، والصابئين، والبراهمة، والملحدين، والدهرية، ولا خصم من فرق المسلمين إلا قطعه، وألزمه الحجة»..

إلى أن قال: «فلما أعيته الحيلة في أمره اغتاله، فقتله بالسم»[2].

3 - وقال إبراهيم بن العباس: «سمعت العباس يقول: .. وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء، فيجيبه الجواب الشافي»[3].

---

(1) عيون أخبار الرضا ج1 ص191، والبحار ج49 ص179 ومسند الإمام الرضا ج2 ص105، والحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام ص377 عنهم..

(2) عيون أخبار الرضا ج2 ص239 ومثير الأحزان ص263 والبحار ج49 ص290، ومسند الإمام الرضا ج2 ص128 وشرح ميمية أبي فراس ص204 والحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام ص377 - 378 عنهم.

(3) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص237 وإعلام الورى ص314 وأعيان الشيعة ج4 قسم2 ص107 وليراجع أيضاً: المناقب لابن شهرآشوب ج4 ص350. والحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام عنهم ص377.

4 - وقال المأمون لحميد بن مهران، حينما طلب منه أن يوليه مجادلته، لينزله منزلته: «ما من شيء أحب إلي من هذا»[1].

5 - وقال لسليمان المروزي: «إنما وجهت إليك لمعرفتي بقوتك، وليس مرادي إلا أن تقطعه عن حجة واحدة فقط»[2].

6 - وحينما أخبر الإمام «عليه السلام» المأمون بصفات حمل جاريته، قال المأمون: «فقلت في نفسي: هذه والله فرصة، إن لم يكن الأمر على ما ذكر خلعته؛ فلم أزل أتوقع أمرها الخ..».

ثم تذكر الرواية مجيء الولد على الصفة التي ذكرها الإمام «عليه السلام» له[3].

7 - كما أنه قد كان من جملة ما يهدف إليه، من جعل ولاية العهد له «عليه السلام» هو أن يري الناس أن الإمام ليس زاهداً في الدنيا، حسبما أوضحناه في كتابنا الحياة السياسية للإمام الرضا «عليه السلام».. فراجع..

---

(1) راجع: الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام ص378. ودلائل الإمامة للطبري ص198.

(2) عيون أخبار الرضا ج1 ص179 والبحار ج49 ص178 ومسند الإمام الرضا ج1 ص97 والحياة السياسية للإمام الرضا ص378.

(3) الغيبة للشيخ الطوسي ص49، وعيون أخبار الرضا ج2 ص224 والبحار ج49 ص307 ومناقب آل أبي طالب ج4 ص333 عن الجلاء والشفاء.

خداع السلطة، وتقية الإمام عليه السلام:

إن نفس سعي المأمون لتولية الإمام الرضا «عليه السلام» للعهد، ثم سعيه لتزويج ابنته من الإمام الجواد «عليه السلام»، وإقامة علاقات طيبة معه، من شأنه أن يضع شيعة الإمام أمام خيارات غير عادية، إذ إن ما ذكرناه من المنافرة بين عقائد الشيعة وبين أية سلطة غير سلطة الإمام.. يجعل أي انسجام بين السلطة، وبين أرباب ذلك الفكر، ومعتنقي تلك العقيدة، والمبشرين بها، ولاسيما إذا كان ذلك على مستوى القمة الشامخة، التي تتحدى السلطة، حتى في الأساس والمبرر لوجودها.. أمام أحد احتمالين، أحدهما:

أن تلك الطائفة ـ أو قمتها ـ تخضع لضغط خانق مباشر، وتهديد صريح من قبل السلطة.. أو أنها تتعامل مع الحكم انطلاقاً من مبدأ التقية، الذي يهدف للحفاظ على المبدأ، وعلى القدرات المؤهلة لحمايته والدفع عنه..

الثاني: أن نجد أنفسنا ملزمين بتوجيه اتهام صريح:

إما لتلك الطائفة بأنها قد قدمت تنازلاً عقائدياً خطيراً في هذا المجال..

وإما لقيادتها، وأنها ليست هي القيادة الحقيقية، وأن ثمة خطأ في التعرف على الرمز الحقيقي للإمامة..

وإما للسلطة نفسها بأنها تقوم بعملية خداع خطيرة، وتُعْنَى بتنفيذ مؤامرة مرعبة، بهدف اغتيال تلك الفرقة، في فكرها، وفي عقائدها،

أو حتى في وجودها بصورة عامة..

وهذا الأمر الأخير.. هو ما تجلى لنا بوضوح في لعبة البيعة للإمام الرضا «عليه السلام» بولاية العهد، حيث اضطر الإمام «عليه السلام» للتعامل مع هذه القضية انطلاقاً من مبدأ التقية وغيره. من مبادئ تدخل في هذا المجال.. كما أوضحناه في كتابنا: «الحياة السياسية للإمام الرضا «عليه السلام»»..

كما أن هذا الخداع الخطير قد مارسه الخليفة العباسي المأمون تجاه الإمام محمد التقي الجواد «عليه السلام»، كما سيتضح لنا من خلال هذا العرض الموجز..

الفصل الخامس:

اللقاء الأول في بغداد

مما سبق:

قد عرفنا فيما سبق حقيقة نوايا المأمون تجاه الإمام الرضا «عليه السلام»، وتجاه الإمامة، وقلنا: إنه قد فشل في تحقيق مآربه مع الإمام الرضا «عليه السلام» فشلاً ذريعاً ومخزياً.

وبعد وفاته صلوات الله وسلامه عليه، واصل حركته التآمرية، التي تستهدف حركة التشيع، ونقطة الارتكاز فيها، من أجل أن تفقد تأثيرها في نطاق الحكم العباسي بصورة عامة، عن طريق إفراغها من محتواها العلمي، الذي هو العنصر الأهم، والأساس الأعظم فيها، أو الطعن في عنصر العصمة المتمثل في محاولات الإساءة إلى سمعته وكرامته، وحالة الطهر والقداسة، التي له في نفوس الناس..

الرقابة حذفت:

ويبدو من ملاحظة النصوص: أن هذه المحاولات قد تنوعت، وتكررت. ولعل ما وصل إلينا منها لا يمثل كل الحقيقة، وإنما هو يعكس جانباً ضئيلاً، ونزراً يسيراً منها.

وللتدليل على ما نقول، نشير إلى ما قاله محمد بن الريان في هذا المجال، وهو: «احتال المأمون على أبي جعفر عليه الصلاة والسلام

بكل حيلة، فلم يمكنه فيه شيء، فلما اعتل، وأراد أن يبني عليه ابنته الخ..»[1].

فقول ابن الريان هذا يشير إلى أن ثمة أحداثاً كثيرة واجه فيها أبو جعفر التقي الجواد «عليه السلام» كيد المأمون..

ولكننا إذا راجعنا النصوص التاريخية، التي ذكرت لنا ما كان يتوسل به المأمون لإلحاق الأذى بأبي جعفر الجواد «عليه السلام»..

فسوف نجد: أنه لا يكاد يذكر لقلته وندرته، وهذا يدل بوضوح على شدة الرقابة التي كان المأمون ـ السلطة ـ يقوم بها على أصحاب الأقلام، وأهل المعرفة، لمنعهم من تسجيل الحقيقة كل الحقيقة، للتاريخ، وللأجيال..

وعلى كل حال.. فإننا إذا أردنا إجمال تلك الوقائع والأحداث التي استطاعت أن تجتاز حواجز الرقابة، فسوف تكون على النحو التالي:

بغداد.. سجن أم رقابة:

إن من المعروف: أنه قد كان للمأمون.. على كل رجل صاحب خبر[2] وكان يدس الوصائف هدية، ليطلعنه على أخبار من شاء[1].

---

(1) راجع: البحار ج50 ص61، والكافي ج1 ص413، والمناقب لابن شهرآشوب ج4 ص396.

(2) تاريخ التمدن الإسلامي، المجلد الثاني ص441 وفي هامشه عن: المسعودي ج2 ص225 وعن طبقات الأطباء ج1 ص171.

وقد جرب ذلك مع الإمام الرضا «عليه السلام» أيضاً.. فباء بالفشل الذريع، ومني بالخيبة القاتلة..

وربما كانت هذه الرقابة هي إحدى أهداف تزويج ابنته للإمام الرضا «عليه السلام»، ثم تزويج ابنته الأخرى لولده الإمام الجواد صلوات الله وسلامه عليه فيما بعد..[2].

وهذا معناه: أنه قد كان من الطبيعي أن يكون المأمون قد اطلع على تحركات الشيعة، بعد وفاة الإمام الرضا «عليه السلام»، وعلى اتصالهم بالإمام الجواد عليه الصلاة والسلام.. وبلغه بعض أو كل ما صدر عن الإمام عليه التحية والسلام من كرامات وفضائل، ومن أجوبة على المسائل الدقيقة والصعبة رغم صغر سنه.

ولا شك في أن تصدي الإمام عليه الصلاة والسلام ـ وهو بهذه السن بالذات ـ لمقام الإمامة، وحمله مسؤوليته القيادية، يعتبر بحد ذاته تحدياً للسلطة، ولجميع الفرق على اختلافها، في أعظم عقائدها أثراً، وأشدها خطراً، وأكثرها حساسية، فمن الطبيعي إذن أن يحتاط المأمون للأمر، ويعد العدة لكل المفاجآت المحتملة في هذا المجال، خصوصاً بعد أن جرب مختلف الأساليب الماكرة مع الإمام الرضا «عليه السلام» من قبل، ورأى بأم عينيه كيف كان كيده يرتد عليه..

---

(1) تاريخ التمدن الإسلامي، المجلد الثاني ص549 عن العقد الفريد ج1 ص148.

(2) راجع كتابنا: الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام ص213 و214.

استقدام المأمون للإمام الجواد عليه السلام:

ولأجل ذلك.. فإننا نعتقد: أن استقدام المأمون للإمام الجواد «عليه السلام» من المدينة إلى بغداد، قد كان بهدف الاحتفاظ به على مقربة منه، لأهداف عديدة، سنشير إلى جانب منها..

وكان استقدام المأمون له «عليه السلام» إلى بغداد في سنة 204هـ . ق. على ما يظهر. أي فور وصول المأمون من خراسان. كما تشير إليه قضية الباز الأشهب الآتية..

ولكن ابن طيفور يذكر: أن الإمام التقي الجواد صلوات الله وسلامه عليه قدم من المدينة إلى بغداد في سنة 215هـ . ق، وتسلم زوجته أم الفضل بنت المأمون، في تكريت، والمأمون في حال سفر، كما سيأتي.

وليس ثمة ما يمنع من الاعتقاد بأنه «عليه السلام» قدم إلى بغداد أكثر من مرة، أو أن المأمون بعد أن استقدمه إلى بغداد، قد فرض عليه المقام فيها، وجرت له معه فيها أمور كثيرة، وهامة. ونحن وإن لم نطلع على طبيعتها، ولكنها كانت في غير صالح المأمون بلا شك، كما يفهم من كلام ابن الريان..

ويلاحظ: أن عجلة المأمون في أمر استقدامه من المدينة إليه، يشبه تماماً استعجال أخيه المعتصم في استقدامه أيضاً فور توليه للخلافة، ثم الاحتفاظ به إلى أن دس إليه السم في سنة 220هـ . ق.

ويؤيد أنه «عليه السلام» قد أقام مدة في بغداد من دون اختيار

منه، ما رواه محمد بن أرومة، عن حسين المكاري، قال:

«دخلت على أبي جعفر ببغداد، وهو على ما كان من أمره، فقلت في نفسي: هذا الرجل لا يرجع إلى موطنه أبداً، وأنا أعرف مطعمه..

[أي أنه لا يرجع إلى وطنه، ما دام: أن مطعمه بالطيب، واللذة، والسعة، التي أعرفها]..

قال: فأطرق رأسه، ثم رفعه، وقد اصفر لونه، فقال:

يا حسين، خبز شعير، وملح جريش، في حرم رسول الله، أحب إلي مما تراني فيه..»[1].

ويؤيد ذلك أيضاً.. ما سيأتي من أن المأمون قد احتال على الإمام «عليه السلام» بكل حيلة، قبل أن يسلم إليه ابنته، فلم يمكنه فيه شيء.

ومن الواضح: أن هذه المحاولات، تحتاج إلى شيء من الوقت(2)، الذي قد يستغرق أشهراً، أو سنوات.

أهداف استقدام الإمام إلى بغداد:

ومهما يكن من أمر.. فإن محاولة إبقاء الإمام «عليه السلام» في بغداد، بالقرب من الخليفة، وتحت نظره ـ والتي نجح فيها المأمون جزئياً على الأقل ـ لسوف تكون مفيدة جداً للمأمون، ونظام حكمه،

---

(1) الخرائج والجرائح ص344 والبحار ج50 ص48.

(2) واحتمال أن يكون جانب من تلك الاحتيالات على الإمام، قد تم والإمام عليه السلام في المدينة.. بعيد في الغاية..

لأن بقاءه هذا من شأنه أن يسهل عليهم جعله تحت الرقابة المستمرة، ورصد كل تحركاته، ومواقفه، ثم تطويقها بسرعة، إن وجدوا فيها أي ضرر، أو خطر..

وكذلك.. فإن ذلك يمكنهم من قطع صلاته بشيعته، وقطع صلاتهم به، أو التقليل منها إلى حد كبير.. إذ من الطبيعي أنه إذا أحيط الإمام «عليه السلام» بهالة الحكم، وأبهة الملك، فإن ذلك سيجعل الكثيرين يتهيبون الاتصال به بصورة عفوية. وبالأخص أولئك الذين لا يرغبون بتعريض أنفسهم، وعلاقاتهم بالأئمة عليهم الصلاة والسلام للأضواء الكاشفة من قبل السلطة الغاشمة..

وأيضاً.. فلربما كان المأمون يأمل في أن يتمكن من خلال محاولاته وأساليبه الإغرائية أو الإغوائية، أو الترهيبية من أن يقنع الإمام في المستقبل، بأن يكون دعاؤه له ولدولته، هذا الأمل نفسه الذي كان يراوده بالنسبة لأبيه الإمام الرضا «عليه السلام» من قبل، كما أوضحناه في كتابنا: «الحياة السياسية للإمام الرضا «عليه السلام»»..

أضف إلى ذلك: أنه بإظهاره المحبة، والتبجيل، والإكرام والتعظيم للإمام «عليه السلام»، يكون قد قدم دليلاً لربما ينطلي على الكثيرين، يثبت به حسن نواياه تجاه الأئمة «عليهم السلام»، ويبرئه إلى حد مَّا من دم الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه.

كما أنه يكون قد أثبت للملأ من الشيعة: أنه لا يرى في خطهم تناقضاً مع خطه، ولا مع موقفه، كحاكم، وكسلطان، الأمر الذي قد

يبعث في قلوبهم بعض الإحساس بالأمان من جهته..

وكذلك.. فإنه إذا استطاع أن يجعل الإمام «عليه السلام»، الذي كان في مقتبل عمره، يعيش حياة اللذة والرفاهية، والدعة، فلربما يؤثر ذلك على طموحاته وآماله «عليه السلام»، ومن ثم على مواقفه.. وأخيراً على مجمل تصوراته وأفكاره، وأسلوب حياته، حسبما أشير إليه فيما نقل عن الحسين المكاري آنفاً..

نعم.. إن ذلك أو جله، ولربما بالإضافة إلى أمور أخرى كان محط نظر المأمون.. وإن كان قد فشل في تحقيق كامل آماله وفي الوصول إلى جميع أهدافه، كما سنرى..

البازي الأشهب في اللقاء الأول:

وكانت أول حادثة تحصل بين الإمام «عليه السلام»، وبين المأمون، بعد استقدامه «عليه السلام» إلى بغداد، عفوية ومفاجئة بالنسبة للمأمون، وكان لها وقع الصاعقة عليه، وكان فيها النصر الحاسم والمؤزر بالنسبة للإمام «عليه السلام»..

يقول النص التاريخي: «لما طعن الناس في المأمون، بعد وفاة الرضا «عليه السلام» واتهموه، أراد أن يبرئ نفسه من ذلك. فلما أتى من خراسان إلى بغداد، كاتب الجواد «عليه السلام» إلى المدينة، يستدعي قدومه عليه بالإعزاز والإكرام.

فلما ورد بغداد اتفق أن المأمون قبل ملاقاته له «عليه السلام»

«خرج إلى الصيد، فاجتاز بطرف البلد في طريقه..»[1].

وكان ذلك بعد موت الإمام الرضا «عليه السلام» بسنة[2]، فاجتاز المأمون ـ والنص لابن شهرآشوب: «بابن الرضا «عليه السلام» [3]، وهو بين صبيان، فهربوا سواه.

فقال: علي به.

فقال: ما لك لا هربت في جملة الصبيان؟!

فقال: ما لي ذنب فأفر منه، ولا الطريق ضيق فأوسعه عليك، سر حيث شئت.

فقال: من تكون أنت؟!

قال: أنا محمد بن علي، بن موسى، بن جعفر، بن محمد، بن علي بن الحسين، بن علي، بن أبي طالب «عليهم السلام»..

فقال: ما تعرف من العلوم؟! [4].

قال: سلني عن أخبار السموات..

---

(1) جلاء العيون ج3 ص106 ويفهم أيضاً من الفصول المهمة لابن الصباغ ص252 وكذلك سائر المصادر التي ستأتي: أنه لم يكن قد رآه بعد.

(2) البحار ج50 ص91 عن كشف الغمة.

(3) وكان عمره يومئذ إحدى عشرة سنة أو نحوها البحار ج50 ص91.

(4) لابد من التأمل كثيراً في مبادرة المأمون هنا إلى سؤاله عما يعرفه من العلوم، بمجرد أن أخبره باسمه ونسبه.

فودعه، ومضى، وعلى يده باز أشهب، يطلب به الصيد..

فلما بعد عنه، نهض عن يده الباز، فنظر يمينه وشماله لم ير صيداً، والباز يثب عن يده، فأرسله، فطار يطلب الأفق، حتى غاب عن ناظره ساعة، ثم عاد إليه، وقد صاد حية[1]..

فوضع الحية في بيت المطعم..

وقال لأصحابه: قد دنا حتف ذلك الصبي في هذا اليوم على يدي[2]..

ثم عاد، وابن الرضا في جملة الصبيان.

فقال: ما عندك من أخبار السموات؟!

[وفي نص آخر: «ثم إنه كر راجعاً إلى داره، وترك الصيد في ذلك اليوم» فلما وصل وجد الصبيان على حالهم، فانصرفوا كما فعلوا أول مرة، وأبو جعفر لم ينصرف، فقال له المأمون: ما في يدي؟ الخ..].

فقال: نعم يا أمير المؤمنين، حدثني أبي عن آبائه، عن النبي، عن جبرائيل، عن رب العالمين، أنه قال: بين السماء والهواء بحر عجاج، يتلاطم به الأمواج، فيه حيات خضر البطون، رقط الظهور، يصيدها الملوك بالبزاة الشهب، يمتحن به العلماء.

---

(1) في المصادر الأخرى: أنه صاد سمكة..

(2) لم ترد هذه العبارة في المصادر الأخرى..

فقال: صدقت، وصدق أبوك، وصدق جدك، وصدق ربك، فأركبه، ثم زوجه أم الفضل».

وفي نص آخر: «تصيدها بزاة الملوك والخلفاء، فيختبرون بها سلالة أهل النبوة»..

فلما سمع المأمون كلامه عجب منه، وقال له: «أنت ابن الرضا حقاً، ومن بيت المصطفى صدقاً»[1].

هذا الحدث بين النقد والتحليل:

وبإلقاء نظرة على مضامين هذا الحديث، تستوقفنا الأمور التالية:

الحدث:

لعل المأمون حينما سأل الإمام عن نفسه بقوله: «من تكون أنت؟» كان متجاهلاً لا جاهلاً، وذلك لأن الإمام الجواد «عليه السلام»، كان قد قدم إلى خراسان قبل سنتين من ذلك التاريخ، أي في

---

(1) المناقب لابن شهرآشوب ج4 ص388 و389، والبحار ج50 ص56 و92. ولتراجع هذه القضية أيضاً في: كشف الغمة ج3 ص134 عن ابن طلحة، وص135 وجلاء العيون ج3 ص107 والصواعق المحرقة ص204 ونور الأبصار ص161 والصراط المستقيم ج2 ص202 وينابيع المودة ص365 والإتحاف بحب الأشراف ص168 - 170 والفصول المهمة للمالكي ص252 - 253. والإمام الجواد لمحمد علي دخيل ص74 عن أخبار الدول ص116.

سنة202هـ . ق لزيارة أبيه الإمام الرضا «عليه السلام»..

قال في تاريخ بيهق: إنه عبر البحر من طريق طبس مسينا[1]، لأن طريق قومس لم يكن مسلوكاً في ذلك الوقت، وصار مسلوكاً في عهد قريب. فجاء من ناحية بيهق، ونزل في قرية «**ششتمد**» وذهب من هناك إلى زيارة أبيه علي بن موسى الرضا «عليه السلام» سنة 202هـ الخ..[2].

ومن البعيد أن لا يكون المأمون قد رآه حينئذٍ، وأبوه ولي عهده، وقد عقد له على ابنته أم الفضل أو سماها له، في نفس المجلس الذي زوج فيه أباه الرضا «عليه السلام» ابنته الأخرى..

هل يلعب الإمام؟:

قد يقال:

إن هذه الرواية توحي بأن الإمام الجواد عليه الصلاة والسلام قد كان يلعب مع الصبيان حينئذٍ، حيث ذكرت: أنهم كانوا يلعبون، وهو واقف معهم، إلى أن مر عليهم المأمون..

وذلك مما لا يمكن قبوله.. فإن الإمام لم يكن ليلعب أو يلهو.

ونقول:

إن وقوفه «عليه السلام» في مكان يتفق وجود بعض الصبيان

---

(1) لعل الصحيح: مسيفاً، أي ماراً على سيف البحر وساحله.

(2) أعيان الشيعة ج2 ص33.

فيه، لا يعني: أنه «عليه السلام» كان يلعب معهم. ولو كان يلعب معهم حقاً لصرحت الرواية بذلك، ولم تكتف بالقول: إنه كان واقفاً معهم، خصوصاً، وأن لعب الإمام في مثل هذا الظرف بالذات، وبعد اضطلاعه بمهمات الإمامة بعد وفاة أبيه لهو أمر يلفت نظر الأعداء ليشهروا به، ونظر الأصدقاء، ليعترضوا عليه ويشكُّوا بإمامته..

وهذا يدل على: أن وجود الإمام «عليه السلام» في ذلك الموضع كان اتفاقياً صنعه الله تعالى له لتظهر معجزته. أو أنه تعمد منه «عليه السلام»، ليواجه المأمون بالموقف القوي والحكيم..

والخلاصة: إنه لا دليل على أنه كان «عليه السلام» يلعب مع الصبيان، بل ليس في الرواية: أنه «عليه السلام» قد تعمد أن يكون معهم، وفي جملتهم. فلعله كان واقفاً أمام داره، واتفق وجود صبيان في ذلك المكان، بل ليس في الرواية حتى ما يدل على أن نفس الصبيان كانوا يلعبون أيضاً..

بل قد يكون «عليه السلام» قد وقف معهم ليعلمهم ويرشدهم، ويوحي إليهم بالمفاهيم الإنسانية، بحسب ما يملكونه من استعداد للفهم والتعقل. وقد نجد الكثير من الحالات التي من هذا القبيل في حياتنا الحاضرة أيضاً.

وعلى كل حال.. فإن وقوفه «عليه السلام» معهم لم يكن للعب قطعاً.. كيف وقد حمل إليه علي بن حسان الواسطي إلى المدينة بعض الآلة التي للصبيان ليتحفه بها، قال علي:

«فدخلت، وسلمت. فرد عليَّ السلام، وفي وجهه الكراهة. ولم يأمرني بالجلوس. فدنوت منه، وفرغت ما كان في كمي بين يديه. فنظر إلي نظرة مغضب، ثم رمى يميناً وشمالاً، ثم قال:

ما لهذا خلقني الله، ما أنا واللعب؟!

فاستعفيته، فعفا عني، فخرجت»[1].

كما أن صفوان الجمال، قد سأل أبا عبد الله عليه الصلاة والسلام عن صاحب هذا الأمر.

فقال: «صاحب هذا الأمر لا يلهو ولا يلعب»[2].

هل الإمام في بغداد، أم عند المأمون؟!:

إن البعض يعتقد: أنه «عليه السلام» كان بالمدينة إلى أن أشخصه المأمون إلى بغداد..[3]. فهو قد كان عند المأمون، فكيف يخرج ليكون مع الصبيان، أو مع غيرهم؟.

وأين هم الرجال الذين يفترض أن يكون المأمون قد وضعهم عليه لحفظه وحراسته؟!

ونقول:

---

(1) دلائل الإمامة ص212 - 213 والبحار ج50 ص59، وإثبات الوصية ص215.

(2) المناقب لابن شهرآشوب ج4 ص317.

(3) راجع: هامش البحار ج50 ص92.

إن حمل المأمون له إلى بغداد، لا يعني: أنه قد التقى به من أول يوم وصوله.

وقد نرى: أن البعض يستقدمهم الخليفة، ثم تمر الأيام والليالي الكثيرة، وربما الأشهر والسنوات، قبل أن يتهيأ له أو قبل أن يرغب باللقاء بهم، حيث قد يكون تأخير اللقاء بهم متعمداً[1].

هذا بالإضافة: إلى أن النص المتقدم يصرح بأن المأمون قد خرج إلى الصيد قبل أن يلتقي به «عليه السلام».

ويتأكد ما نقول هنا:

إذا عرفنا: أن من جملة الأهداف الهامة التي كان يرمي إليها المأمون من استقدامه له «عليه السلام» هو أن يكون على مقربة منه، ليتهيأ له الإشراف[2] بواسطة عيونه ورقبائه على مجمل

---

(1) وقد بقي موسى المبرقع ابن الإمام الجواد عليه السلام، ثلاث سنين يبكر كل يوم إلى باب المتوكل فيقال له قد تشاغل اليوم، فيروح فيبكر فيقال له قد سكر، فيبكر، حتى قتل المتوكل، البحار ج50 ص4 عن إرشاد المفيد..

(2) ويرى المحقق البحاثة الشيخ علي الأحمدي: أنه قد يكون التأخير في اللقاء يهدف إلى ضبط تحركاته، ولقاءاته مع الناس ومن أجل أن التأخير في اللقاء، والتسويف فيه، يتضمن استخفافاً وإهانة، وذلك هو أحد أهدافهم في كثير من مواقفهم من الأئمة عليهم السلام كما فعله المتوكل مع الإمام الهادي عليه السلام حينما أشخصه إلى سامراء، حيث أنزله في دار الصعاليك.. ويكون نتيجة كلا الأمرين أيضاً شعور الإنسان في قرارة نفسه

تحركاته، واتصالاته، التي يكون للمأمون حساسية خاصة تجاهها..

والمأمون.. هو ذلك الرجل العجيب، الذي يهتم برصد كل تحركات خصومه، أو من يرى فيهم مشروع خصوم له في وقت ما، بكل دقة، كما ألمحنا إليه فيما سبق..

لماذا رجع الخليفة عن الصيد؟:

وفي هذا الحدث: إشارات عديدة هامة، إن بالنسبة لموقف الإمام التقي الجواد عليه الصلاة والسلام.. وإن بالنسبة للخليفة المأمون..

غير أننا نكتفي هنا: بالإلماح إلى أن الخليفة الذي من أبسط مميزاته، هو اهتمامه بالحفاظ على أبهة الملك، وجلال السلطان.. لم يكن ليرجع عن صيده، لأمر عادي وتافه، وبهذه السرعة.. حتى إن ذلك الصبي كان لا يزال يقف في نفس المكان الذي تركه فيه..

بل لابد أن يكون الذي أرجعه عن مقصده، من جلائل الأمور، وعظائمها، ومما له مساس قوي بأساس الملك، ومصير النظام كله. ولاسيما إذا كان رجوعه عن مقصده بهذه الصورة المثيرة، وغير المألوفة، مصحوباً بحركات تشبه حركات الممرورين، أو المشعوذين!!، ومن أجل امتحان صبي يقف مع أترابه!!

وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل: على أن المأمون كان ـ في الحقيقة ـ بصدد إبطال ما يقوله أئمة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام

بالضعة والمهانة، الأمر الذي يضعفه في أهدافه وأغراضه.

من العصمة لهم وأن لديهم العلم الخاص، الذي هو علم الإمامة، كما قلنا..

صغر سن الإمام عليه السلام أطمعه:

وهو مع أنه كان قد جرب مثل ذلك مع الإمام الرضا «عليه السلام» من قبل، وفشل في تجربته..

إلا أنه ربما يكون قد طمع بالفرصة، وهو يرى صغر سن الإمام محمد التقي الجواد «عليه السلام»، وقد احتمل أو ظن: أنه صلوات الله وسلامه عليه لم يتمكن ـ وهو في هذه السن ـ من تحصيل العلوم والمعارف اللازمة في مواقف التحدي، والتي تؤهله للفلج والظفر في مقام الحجاج، والخصام..

ماذا لو لم يجب الإمام على السؤال؟!:

وبعد.. فإن سؤالاً يبقى يتردد حائراً هنا، وهو: ماذا عساه كان سيفعل لو أنه لم يجد عند هذا الصبي الصغير، الجواب الكافي، والشافي على سؤال عن أمر غيبي، بكل ما لكلمة الغيب من معنى؟!.. ولا يمكن أن تناله العقول، ولا تهتدي إليه الأفكار؟!

فهل سيقتله ـ كما صرح به النص المتقدم على لسان المأمون نفسه، حيث قال: «قد دنا حتف ذلك الصبي على يدي».

نعم.. يقتله ليشتهر بين الكافة، في أرجاء العالم الإسلامي بأسره: أن سبب قتله هو جرأته وادعاؤه ما ليس له، ثم عجزه عن الإجابة الصحيحة في أمر يدَّعي لنفسه العلم به. وليبطل من ثم أمر الإمامة

فيه، وفي ولده من بعده، وحتى في آبائه من قبل..

وذلك لأن هدفه الأول والأخير، هو: تكذيب أن هذا الأمر فيهم.. كما ألمح إليه هو نفسه بقوله: «صدقت، وصدق أبوك، وصدق جدك، وصدق ربك»..

حيث إن هذا الكلام يتضمن اعترافاً ضمنياً له: بأن لديه «عليه السلام» ذلك العلم الخاص الذي يدَّعيه لنفسه، وأنه تلقاه من أبيه، عن جده، عن ربه سبحانه..

أم أن قوله بأنه سيقتله، كان نزوة عارضة، لا تعكس الرأي السياسي الهادئ ولاسيما لرجل معروف بمكره وعظيم دهائه مثل المأمون؟!.. بل إن رأيه النهائي والأخير فيه والحالة هذه هو: أن يبقيه هكذا.. فارغاً من معنى الإمامة، ومن خصائصها، ليكون سنداً قوياً، وحجة دامغة، على كل من يحاول أن يدَّعي ذلك له، أو لأحد من أهل البيت «عليهم السلام» في مختلف الظروف والأحوال..

وبذلك ينتهي أمره وأمر أهل البيت معه، ويضمحل ويتلاشى أتباعه ومحبوه، وأتباعهم ومحبوهم، بصورة طبيعية، ومن دون أي جهد، أو عناء؟.

لا ندري.. ولعل الفطن الذكي والخبير بمكر المأمون وأحابيله هو الذي يدري.

ويلاحظ هنا: أن الإمام الجواد «عليه السلام» كان ـ كجده علي أمير المؤمنين «عليه السلام» ـ يظهر في مناسبات كثيرة: علم

الإمامة، الذي تلقاه عن آبائه «عليهم السلام»، عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، عن جبرئيل «عليه السلام»، عن الله سبحانه، فكان يكثر من الإخبارات الغيبية، أو يتخذ موقفاً يشير إلى ذلك، سواء مع شيعته، أم مع غيرهم، فراجع حياته وسيرته[1]..

ومن ذلك قصته مع الفاصد.. حيث أمره «عليه السلام» بأن يفصده في العرق الزاهر، فراجع[2]..

الرعب القاتل:

إننا لا نشك: في أن المأمون، بعد أن جرى بينه وبين الإمام محمد التقي «عليه السلام» ما جرى في اللقاء الأول معه، في قصة الباز الأشهب..

وبعد أن بهره ذلك الجواب الصاعق منه عليه التحية والسلام.. قد تجسدت أمامه خطورة الموقف، وصعق لعظم الهول، وجليل الخطب، وأدرك أنه لابد له من مواجهة هذا الأمر بجدية أعظم، ومكر أشد، إذا أراد أن يطمئن إلى مصيره ومستقبله في الحكم، ومعه بنو أبيه: العباسيون.

---

(1) راجع على سبيل المثال: البحار ج50 ص9 و38 و44 - 46 و54 و57 و60 و61 و63 و65 - 67.

(2) البحار ج50 ص57 عن المناقب لابن شهرآشوب، عن كتاب معرفة تركيب الجسد للحسين بن أحمد التيمي.

فماذا فعل المأمون؟! وماذا يمكن له أن يفعل؟

هذا ما سوف نحاول الإجابة عليه في الفصل التالي، إن شاء الله تعالى..

الفصل السادس:

مناظرات.. أم مؤامرات!!

التجربة المأساة:

وقد عرفنا فيما سبق: أن المأمون كان يهتم بجمع العلماء، وأرباب الكلام، من أهل الفرق والملل، ليناظروا الإمام الرضا «عليه السلام»، على أمل أن يقطعه واحد منهم، ولو في مسألة واحدة..

وقد كثرت هذه المناظرات وزادت، ولكن حصادها كان هو إظهار عظمة الإمام، والخيبة والخزي لأعدائه، والمأمون منهم، فندم المأمون حيث لا ينفعه الندم، ثم اقترف جريمته النكراء بحق الإمام الرضا «عليه السلام»، حسبما هو معروف ومشهور..

والآن.. فلماذا لا يجرب هذا الأسلوب مرة أخرى مع ولده الجواد، الذي ظن: أنه بسبب صغر سنه، لا خبرة له بأساليب الكلام، ولا معرفة له بدقائق الحقائق، ولم تكفه إجابة الإمام على سؤاله عما صاده البازي الأشهب.. فلعلها كانت رمية من غير رام.. ولعل.. ولعل..

وتجربة واحدة، لو أحكم تدبيرها، ووضعت الخطة لها بدقة وعناية، فلربما تنهي هذا الأمر، وتضع حداً لجميع المشاكل المحتملة، وتقضي على مصدر كل المتاعب والأخطار، وإلى الأبد..

وإن لم تنجح هذه التجربة، بتحقيق هذا الهدف الكبير، فإن بإمكانها أن تحقق قسطاً هاماً من التقدم في هذا السبيل..

وخاض المأمون غمار هذا الحدث، بكل ما لديه من حنكة ودهاء، ورصد لها كل ما يملك من رصيد معنوي وسياسي، ونفذها بعناية فائقة، ودقة لا تجارى..

ولكن هل استطاع المأمون أن يؤمِّن حتى الحد الأدنى من النجاح في هذا المجال؟!

هذا ما سوف يتضح لنا فيما يلي من صفحات..

الزواج.. المؤامرة:

كان المأمون العباسي، قد زوج ابنته أم الفضل من الإمام الجواد صلوات الله وسلامه عليه، حينما عقد لأبيه الرضا «عليه السلام» بولاية العهد بعده[1]، أو أنه كان قد سماها له آنئذٍ، على أقل تقدير [2]..

ربما من أجل تعمية مقاصده من البيعة لأبيه على الناس،

---

(1) البداية والنهاية ج10 ص269 وتاريخ الطبري ط الإستقامة ج7 ص149 ومروج الذهب ج3 ص441 وعيون أخبار الرضا ج2 ص147 والبحار ج49 ص132 وتذكرة الخواص ص352 عن الصولي وغيره.

(2) أعيان الشيعة ج2 ص33.

ولمقاصد أخرى، أشرنا إلى جانب منها في مجال آخر [1].

ثم إنه حينما استشهد أبوه، استقدمه إلى بغداد، وبدأ معه سلسلة من التجاذبات كان أولها قصة البازي الأشهب، التي تقدمت، ثم استجابته بيسر وسهولة لطلب بني أبيه العباسيين منه: أن لا يسلم إليه زوجته، إلا بعد امتحانه بالمسائل الصعبة، التي يلقيها عليه يحيى بن أكثم.. بل إنه هو الذي اقترح عليهم ذلك، كما سنرى..

ولم يكن العباسيون ليجرؤوا على هذا الطلب منه، لولا أنه هو الذي طرحه عليهم، وأغراهم به..

ونحن نورد هنا ملخصاً عن هذا الحدث، فنقول:

الحدث.. في نصه التاريخي:

يقول النص التاريخي: إنه لما عزم المأمون على أن يزوج ابنته أم الفضل من أبي جعفر «عليه السلام»، قال له العباسيون:

«أتزوج ابنتك، وقرة عينك صبياً لم يتفقه في دين الله، ولا يعرف حلاله من حرامه، ولا فرضاً من سننه؟ ـ ولأبي جعفر إذ ذاك تسع سنين ـ فلو صبرت حتى يتأدب، ويقرأ القرآن، ويعرف الحلال من الحرام؟!».

فقال المأمون: «إنه لأفقه منكم، وأعلم بالله ورسوله، وسنته، وأحكامه، وأقرأ لكتاب الله منكم، وأعلم بمحكمه ومتشابهه، وناسخه

---

(1) راجع كتابنا: الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام ص209 ـ 210.

ومنسوخه، وظاهره وباطنه، وخاصه وعامه، وتنزيله وتأويله منكم، فاسألوه، فإن كان الأمر كما وصفتم قبلت منكم»..

وفي نص آخر قال لهم: «ويحكم، إني أعرف بهذا الفتى منكم»..

إلى أن قال: «فإن شئتم، فامتحنوا أبا جعفر بما يتبين لكم به ما وصفت من حاله..».

وفي نص ثالث، بعد أن ذكروا: أنه صبي صغير السن، قال: «كأنكم تشكون في قولي، إن شئتم فاختبروه، أو ادعوا من يختبره، ثم بعد ذلك لوموا فيه، أو اعذروا»..

قالوا: وتتركنا وذلك؟..

قال: نعم.

قالوا: «فيكون ذلك بين يديك، تترك من يسأله عن شيء من أمور الشريعة، فإن أصاب لم يكن في أمره لنا اعتراض، وظهر للخاصة والعامة سديد رأي أمير المؤمنين. وإن عجز عن ذلك كفينا خطبه، ولم يكن لأمير المؤمنين عذر في ذلك».

فقال لهم المأمون: «شأنكم وذاك، متى أردتم..».

ثم تذكر الروايات: إطماعهم يحيى بن أكثم في هدايا، على أن يحتال على أبي جعفر «عليه السلام» بمسألة في الفقه، لا يدري ما الجواب فيها..

ثم تذكر مساءلته إياه بحضور: «خواص الدولة، وأعيانها، من أمرائها، وحجابها، وقوادها»..

ثم تذكر جوابه عليه الصلاة والسلام بذلك الجواب الدقيق والشامل، الذي لم يكن يتوقعه أحد حتى السائل نفسه، حتى ذهل يحيى بن أكثم وارتبك، وتحير في أمره.

تقول الرواية ـ والنص هنا لكتاب الإحتجاج ـ ما يلي:

«وخرج أبو جعفر «عليه السلام»، وهو ابن تسع سنين وأشهر، فجلس بين المسورتين، وجلس يحيى بن أكثم بين يديه، فقام الناس في مراتبهم، والمأمون في دست متصل بدست أبي جعفر «عليه السلام».

فقال يحيى بن أكثم للمأمون: تأذن لي يا أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر عن مسألة؟

فقال المأمون: استأذنه في ذلك.

فأقبل عليه يحيى بن أكثم، فقال: أتأذن لي ـ جعلت فداك ـ في مسألة؟

فقال أبو جعفر «عليه السلام»: سل إن شئت.

فقال يحيى: ما تقول ـ جعلت فداك ـ في مُحْرِمٍ قتل صيداً؟!

فقال أبو جعفر «عليه السلام»**:**

قتله في حِلّ أو حَرَمٍ؟

عالماً كان المحرم أو جاهلاً؟

قتله عمداً أو خطأ؟

حراً كان المحرم أو عبداً؟

صغيراً كان أو كبيراً؟

مبتدئاً بالقتل أو معيداً؟

من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟

من صغار الصيد أم من كباره؟

مصراً على ما فعل أو نادماً؟

في الليل كان قتله أم بالنهار؟

محرماً كان بالعمرة إذ قتله، أو بالحج كان محرماً؟

فتحير يحيى بن أكثم، وبان في وجهه العجز والانقطاع، وتلجلج حتى عرف جماعة أهل المجلس عجزه.

فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة، والتوفيق لي في الرأي، ثم نظر إلى أهل بيته، فقال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟!

ثم أقبل إلى أبي جعفر، فقال له: أتخطب يا أبا جعفر؟

ثم تذكر الرواية خطبته «عليه السلام»، وتزويج المأمون إياه..

إلى أن قالت الرواية:

فلما تفرق الناس، وبقي من الخاصة من بقي، قال المأمون لأبي جعفر «عليه السلام»، جعلت فداك:

إن رأيت أن تذكر الفقه فيما فصلته من وجوه قتل المحرم، لنعلمه، ونستفيده..

فقال أبو جعفر «عليه السلام»: نعم، إن المحرم إذا قتل صيداً

في الحل، وكان الصيد من ذوات الطير، وكان من كبارها، فعليه شاة، وإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً..

وإذا قتل فرخاً في الحل: فعليه حمل قد فطم من اللبن، فإذا قتله في الحرم، فعليه الحمل وقيمة الفرخ.

فإذا كان من الوحش، وكان حمار وحش، فعليه بقرة، وإن كان نعامة فعليه بدنة، وإن كان ظبياً فعليه شاة، وإن كان قتل شيئاً من ذلك في الحرم، فعليه الجزاء مضاعفاً: هدياً بالغ الكعبة..

وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه، وكان إحرامه للحج، نحره بمنى، وإن كان بعمرة، نحره بمكة..

وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء، وفي العمد عليه المأثم، وهو موضوع عنه في الخطأ..

والكفارة على الحر في نفسه، وعلى السيد في عبده، والصغير لا كفارة عليه. وهي على الكبير واجبة، والنادم يسقط ندمه عنه عقاب الآخرة، والمصر يجب عليه عقاب الآخرة.

فقال المأمون: أحسنت يا أبا جعفر، أحسن الله إليك، فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك..

فقال أبو جعفر «عليه السلام» **ليحيى:** أسألك؟

قال: ذلك إليك جعلت فداك؛ فإن عرفت جواب ما تسألني عنه، وإلا استفدته منك.

فقال أبو جعفر «عليه السلام»**:** أخبرني عن رجل نظر إلى امرأة

في أول النهار؛ فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار حلت له، فلما زالت الشمس حرمت عليه، فلما كان وقت العصر حلت له، فلما غربت الشمس حرمت عليه، فلما دخل وقت العشاء الآخرة حلت له؛ فلما كان وقت انتصاف الليل حرمت عليه، فلما طلع الفجر حلت له، ما حال هذه المرأة؟ وبماذا حلت له، وحرمت عليه؟!

فقال له يحيى بن أكثم: لا والله، لا أهتدي إلى جواب هذا السؤال، ولا أعرف الوجه فيه، فإن رأيت أن تفيدنا.

فقال أبو جعفر «عليه السلام»**:** هذه أمة لرجل من الناس، نظر إليها أجنبي في أول النهار، فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلت له، فلما كان عند الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفَّر عن الظهار فحلت له، فلما كان نصف الليل طلقها طلقة واحدة، فحرمت عليه، فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له..

فقال المأمون: ويحكم، أما علمتم: أن أهل هذا البيت ليسوا خلقاً من هذا الخلق؟

أما علمتم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»، وهو ابن عشر سنين، وقبل منه الإسلام، وحكم له به، ولم يدع أحداً في سنِّه غيره، وبايع الحسن والحسين، وهما صبيان، ولم يبايع غيرهما

طفلين..

أوَلا تعلمون الآن ما اختص الله به هؤلاء القوم، وأنهم ذرية بعضها من بعض، يجري لآخرهم ما يجري لأولهم؟!

قالوا: صدقت يا أمير المؤمنين..

وتقول الرواية أخيراً: إن المأمون التفت إلى أهل بيته، الذين أنكروا تزويجه، فقال: «هل فيكم من يجيب هذا الجواب»؟!

قالوا: لا والله، ولا القاضي يا أمير المؤمنين، كنت أعلم به منا.

ثم تذكر الرواية: أنه قد زوَّجه ابنته في نفس ذلك المجلس[1].

أما انتقالها إليه، فكان في بلدة تكريت في سنة خمس عشرة ومئتين للهجرة، فقد قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر الكاتب:

«خرج أمير المؤمنين من الشماسية إلى البردان، يوم الخميس،

---

(1) راجع فيما تقدم: الإتحاف بحب الأشراف ص171 - 172 وتحف العقول ص451 - 453 والإختصاص ص98 - 101 والإحتجاج ج2 ص240 - 245 وكشف الغمة ج3 ص144 والمناقب لابن شهرآشوب ج4 ص381 وجلاء العيون ج3 ص108 والصواعق المحرقة ص204 ونور الأبصار ص161 ودلائل الإمامة ص206 - 208 وروضة الواعظين ص238، فما بعدها، والإرشاد للمفيد ص359 و360 فما بعدها وإعلام الورى ص351 فما بعدها والبحار ج50 ص75 عن الإحتجاج، وعن تفسير القمي، والإمام محمد الجواد، لمحمد علي دخيل ص37 - 41 وأعيان الشيعة ج2 ص33 - 34. والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص253 - 256.

صلاة الظهر، لست بقين من المحرم، سنة خمس عشرة ومئتين، وهو اليوم الرابع والعشرين من آذار. ثم سار حتى أتى تكريت.

وفيها قدم محمد بن علي بن موسى، بن جعفر، بن محمد بن علي، بن الحسين بن علي بن أبي طالب من المدينة، في صفر ليلة الجمعة..

فخرج من بغداد حتى لقي أمير المؤمنين بتكريت، فأجازه، وأمره أن يدخل عليه امرأته، ابنة أمير المؤمنين، فأدخلت عليه في دار أحمد بن يوسف، التي على شاطئ دجلة، فأقام بها، فلما كان أيام الحج خرج بأهله وعياله، حتى أتى مكة، ثم أتى منزله بالمدينة، فأقام به..» [1].

وقفات مع الحدث:

1 ـ لقد كان المأمون عارفاً بمقام الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وبأن الحق معهم ولهم، وأنهم هم أئمة الهدى، والعروة الوثقى، والحجة على أهل الدنيا..

وكان يعلم أيضاً أنهم صلوات الله وسلامه عليهم أعلم أهل الأرض، وأنهم أتقى الناس، وأعبدهم، وأكملهم، وأفضلهم..

ولكنه مع كل ذلك.. كان يجهد لإطفاء نور الحق، وطمس معالمه وآثاره، ما وجد إلى ذلك سبيلاً.. وذلك طمعاً منه بالدنيا، ورغبة في ظلها الزائل، ولذتها العاجلة..

---

(1) بغداد ص142 ـ 143.

ولكن المأمون الذي كان كالغريق الذي يتشبث بالطحلب، قد ثار لديه احتمال أن لا يكون «عليه السلام» وهو بهذا السن، قد تمكن من تلقي العلوم والمعارف من أبيه، الذي عاش معه فترة قصيرة، ولا سمع منه الكثير من الأمور التوقيفية، التي يكون العلم بها منحصراً بالنقل والتعليم، فاختار السؤال عن هذا السنخ من المعارف دون سواه، لأنه «عليه السلام» فرض قدرته رغم صغر سنه على الإجابة على الأمور العقلية، مهما كانت عميقة ومعقدة، فإنه لا يحتمل أن يجيب على ما لا مجال للعلم به إلا عن طريق التعليم خصوصاً في المجال الفقهي، وفي مسألة معقدة، قلما تخطر على البال..

العباسيون في الواجهة لماذا؟!:

وهكذا.. فقد خاض المأمون التجربة، ولكنه خاضها بحنكة ظاهرة، حيث رمى الكرة في ملعب العباسيين، ربما لأنه خاف أن يعلن نواياه، حتى لا يفاجئوه بما لم يكن قد حسب له حساباً، ولذلك فإنه في حين يطلب من العباسيين: أن يمتحنوا أبا جعفر «عليه السلام».. فإنه يُظْهِر نفسه بمظهر الواثق من أنه «عليه السلام» قادر على الإجابة على أسئلتهم رغم صغر سنه..

وتظاهره هذا من شأنه: أن يستفز بني العباس، ويغريهم بالمزيد من الإصرار على إسقاط الإمام «عليه السلام»، وتحطيم شخصيته.. كما أنه يجعل المأمون غير مسؤول مباشرة عن هذا الأمر، لو حدث فعلاً، مهما كانت نتائجه..

كما أنه إذا جاءت النتائج على خلاف ما يرغب، فإن ذلك يمنحه الفرصة والمبرر للإستمرار في خطته المرسومة القاضية بتكرار التجربة، وباحتواء الإمام، ورصد كل حركاته وسكناته.. إلى أن تحين فرصة أخرى لتسديد الضربة الغادرة الأخيرة، في عملية التخلص منه جسدياً، والتي يعدّ لها لينفّذها ـ إن اقتضى الأمر ذلك ـ في الوقت المناسب..

هذا كله.. عدا عن أن الفرصة تكون متاحة له للنيل من شخصية الإمام، وإسقاطه بأساليب أخرى، سنلمح إليها فيما يأتي إن شاء الله تعالى..

لا مجال لإحسان الظن بالمأمون:

والمأمون.. الذي كان قد حاول النيل من مقام الإمام الرضا «عليه السلام» بصنوف المكر والتآمر، ثم اغتاله أخيراً بأسلوب أدنى من أن يقال فيه: إنه أسلوب جبان وعاجز، هو نفسه المأمون الذي يتعامل الآن مع الإمام الجواد «عليه السلام»، مستنداً إلى حصيلة واسعة من الخبرة والتجارب، ولعله أصبح أكثر إصراراً على المضي في خططه الماكرة، الرامية لإنهاء أمر الإمامة والإمام، ما دام أنه يرى فيهما خطراً جدياً، يتهدد وجوده ومستقبله في الحكم، ومعه بنو أبيه العباسيون..

ولا نجد فيما بأيدينا من نصوص ووقائع: ما يبرر لنا الاعتقاد، بأن المأمون قد أصبح بين عشية وضحاها تقياً ورعاً، وصادقاً فيما

يدَّعيه من الاعتقاد بإمامة الأئمة، ومهتماً بإظهار علومهم، ومعارفهم التي اختصهم الله تعالى بها.

وتزويجه ابنته أم الفضل للإمام الجواد عليه الصلاة والسلام، وإظهار المحبة والإكرام له، لا يصلح شاهداً على ذلك، إذ ليس هو بأكثر من تزويجه ابنته الأخرى لأبيه الإمام الرضا «عليه السلام» من قبل، مع إظهاره المزيد من المحبة والتبجيل والإكرام له أيضاً، حتى لقد جعل أباه ولي عهده..

فإذا كان ذلك عن سياسة دهاءٍ ومكرٍ، وسوء نية ـ كما ثبت بشكل قاطع ـ فليكن ما يجري منه تجاه الإمام الجواد كذلك أيضاً، ما دامت الدلائل القوية، والشواهد والمبررات لاستمرار هذا المكر، وذلك الدهاء، لا تزال قائمة.

محاولة أخرى للمأمون:

ومما يدل على سوء نواياه: أنه قال مرة أخرى ليحيى بن أكثم:

إطرح على أبي جعفر، محمد بن الرضا عليهما السلام مسألة تقطعه فيها..

فقال: يا أبا جعفر، ما تقول في رجل نكح امرأة على زنى، أيحل له أن يتزوجها؟

فقال «عليه السلام»**:** يدعها حتى يستبرئها.. إلى أن قالت

الرواية: فانقطع يحيى الخ».. [1].

وهذا يعني: أن الهم الأكبر للمأمون، وشغله الشاغل هو أن ينقطع الإمام «عليه السلام»، ولو في مسألة واحدة، كما كان دأبه مع أبيه الرضا «عليه السلام» من قبل..

التقديرات المأمونية سراب:

ومهما يكن من أمر: فلقد كانت التقديرات المأمونية، والعباسية من ورائها، تتجه نحو الاعتقاد بأن ما جرى على لسان هذا الطفل في قضية البازي الأشهب، ربما كان رمية من غير رام، أو احتمال أن يكون لديه خبر بذلك عن آبائه «عليهم السلام»، كما ألمح إليه هو نفسه في جوابه للمأمون في تلك الواقعة حسبما تقدم..

فما عليهم لو طرحوا عليه مسألة صعبة ودقيقة، لا تدرك بالعقل، بل تحتاج إلى تعليم، فإن هذا الطفل قد فارق أباه مدة، ولم يقض مع أبيه مدة يمكنه فيها تلقي العلوم والمعارف الكافية من أبيه، وكان بحسب ما ألفوه، غير قادرٍ على استيعاب جميع ما يلقى إليه من علوم ومعارف.

---

(1) تحف العقول ص454. ثم تذكر الرواية أسئلة الإمام ليحيى حول المرأة التي تحل لرجل ثم تحرم عليه مرات كثيرة في يوم واحد، وعدم قدرة يحيى على الإجابة على ذلك. وإحالته الإجابة على الإمام نفسه..

أخطر مؤامرة:

وإذا عجز هذا الإمام الصغير السن على مسألة من مسائل يحيى بن أكثم الصعبة، بمحضر من الأعيان، والقواد، والحجاب وغيرهم، فلسوف يظهر للناس جميعاً: أن إمام الشيعة، وقائدهم طفل صغير، لا يعقل، ولا يعلم شيئاً، وأن ما يدعونه في أئمتهم، إنما هو زخرف باطل، وظل زائل، لا حقيقة له، ولا واقع وراءه..

نعم.. وقد جاءت صياغة هذا الحدث بنحو طريف ولافت، يعطي المأمون الفرصة والمبرر للامتناع عن تسليم الإمام الجواد «عليه السلام» زوجته، التي كان قد عقد له عليها منذ سنوات، أو لا أقل كان قد سماها له في احتفال عام، وفي حدث نادر لم يبق أحد في الدولة الإسلامية المترامية الأطراف إلا وقد عرف به، وتعجب منه، وتتبع أخباره بدقة وحساسية متناهية..

وإذا استطاع أن يجد المبرر الآن للامتناع عن تسليم ابنته إلى هذا الرجل ـ الذي يدين شطر هذه الأمة بإمامته ـ فإن ذلك لسوف يشيع بين الناس، وفي جميع الأقطار، ولاسيما بملاحظة نوع الحضور في ذلك الاجتماع، وأهميتهم، وسعة نفوذهم، وسيصبح حديث كل الندوات والمحافل: أن إمام الشيعة قد حرم من زوجته، وهي ابنة أعظم رجل في العالم الإسلامي، ويهتم الناس كلهم بكل ما يتفق له، أو معه، ويصدر عنه، وبيده كل أجهزة الإعلام والتشهير..

ولسوف يبررون لهم هذا الحرمان، بأن سببه هو عيّ، وجهل هذا

الإمام في أعظم ما يدَّعيه لنفسه، ويدَّعيه له كل أتباعه ومحبيه.

ولكن أجوبة الإمام «عليه السلام» الجامعة والدقيقة، والقاطعة، قد قطعت الطريق على المأمون، وعلى بني أبيه، وجعلت الأمور تسير في غير صالحه، وعلى خلاف ما يريد، وبالذات في الاتجاه المضاد لرغباته وميوله.

الناس يدركون سوء النوايا:

واللافت هنا: أننا نلاحظ: أن الناس، حتى من غير الشيعة، كانوا يدركون سوء نوايا السلطة في قصة تزويج الإمام ببنت المأمون، ويعلمون أنها إنما تدبر للقضاء على الإمام «عليه السلام»، والتخلص منه، فيحدثنا الحسين بن محمد، عن محمد بن علي، عن محمد بن حمزة الهاشمي، عن علي بن محمد، أو محمد بن علي الهاشمي، قال:

«دخلت على أبي جعفر «عليه السلام» صبيحة عرسه، حيث بنى بابنة المأمون، وكنت تناولت من الليل دواء، فأول ما دخل عليه في صبيحته أنا، وقد أصابني العطش، وكرهت أن أدعو بالماء، فنظر أبو جعفر «عليه السلام» في وجهي وقال: أظنك عطشاناً.

فقلت: أجل.

فقال: يا غلام، أو جارية، أسقنا ماء.

فقلت في نفسي: الساعة يأتونه بماء يسمونه به، فاغتممت لذلك، فأقبل الغلام ومعه الماء..

فتبسم في وجهي، ثم قال: يا غلام ناولني الماء.

فشرب، ثم ناولني فشربت وأطلت عنده، فعطشت، وكرهت أن أدعو بالماء، ففعل ما فعل بالأولى.

فلما جاء الغلام ومعه القدح، قلت في نفسي مثل ما قلت في الأولى، فتناول القدح، ثم شرب، فناولني وتبسم..

قال محمد بن حمزة: فقال لي محمد بن علي الهاشمي: والله، إني أظن أن أبا جعفر يعلم ما في النفوس، كما يقول الرافضة»[1].

العقرب تعود من جديد:

ولم يقف الأمر عند حد ما جرى بين الإمام «عليه السلام» والمأمون والعباسيين، ولا عند حد ما جرى بين الإمام والمأمون ويحيي بن أكثم، حينما أراد أن يقطع الإمام ولو في مسألة واحدة..

بل عادت العقرب للظهور من جديد، في ثوب يحيى بن أكثم ليطرح مسائله على الإمام. وكأني به «عليه السلام» يبتسم آنئذٍ بمرارة وسخرية، ولسان حاله يقول:

إن عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضرة

وقد كان «عليه السلام» **يعلم:** أن هذه المحاولات ستزيد المأمون خزياً وحقداً..

---

(1) راجع الكافي ج1 ص414 و415 والإرشاد للمفيد ص366 والبحار ج50 ص50 و54.

وقد جاءت الأسئلة هذه المرة ذات طعم خاص، ونكهة خاصة، إذ إنها ترتبط بفضائل أبي بكر وعمر ـ وذلك بحضور جماعة كثيرة، وفيهم المأمون نفسه..

فقد روي: أن المأمون بعدما زوج ابنته أم الفضل أبا جعفر «عليه السلام»، كان في مجلس، وعنده أبو جعفر «عليه السلام»، ويحيى بن أكثم وجماعة كثيرة، فقال له يحيى بن أكثم:

ما تقول يا بن رسول الله في الخبر الذي روي أنه: «نزل جبرئيل «عليه السلام» على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقال: يا محمد، إن الله عز وجل يقرؤك السلام، ويقول لك: سل أبا بكر، هل هو عني راضٍ، فإني عنه راض؟!».

فقال أبو جعفر: لست بمنكر فضل أبي بكر، ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حجة الوداع: لقد كثرت علي الكذابة، وستكثر بعدي، فمن كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده في النار، فإذا أتاكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به..

وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، قال الله تعالى: **(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ**

الْوَرِيدِ) [1].. فالله عز وجل خفي عليه رضا أبي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون سره؟!

هذا مستحيل في العقول..

ثم قال يحيى بن أكثم: وقد روي: أن مثل أبي بكر وعمر في الأرض، كمثل جبرئيل وميكائيل في السماء؟!

فقال: وهذا أيضاً يجب النظر فيه، لأن جبرئيل وميكائيل ملكان لله، لم يعصيا الله قط، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما قد أشركا بالله عز وجل، وإن أسلما بعد الشرك، فكان أكثر أيامهما في الشرك بالله، فمحال أن يشبههما بهما..

قال يحيى: وقد روي أيضاً: أنهما سيدا كهول أهل الجنة، فما تقول فيه؟

فقال «عليه السلام»**:** وهذا الخبر محال أيضاً، لأن أهل الجنة كلهم يكونون شباباً، ولا يكون فيهم كهل..

وهذا الخبر وضعه بنو أمية لمضادة الخبر الذي قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الحسن والحسين «سيدا شباب أهل الجنة»..

فقال يحيى بن أكثم: وروي: أن عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة.

---

(1) الآية 16 من سورة ق.

فقال «عليه السلام»**:** وهذا محال أيضاً، لأن في الجنة ملائكة الله المقربين، وآدم، ومحمد، وجميع الأنبياء والمرسلين، لا تضيء الجنة بأنوارهم حتى تضيء بنور عمر؟!

فقال يحيى: وقد روي: أن السكينة تنطق على لسان عمر.

فقال «عليه السلام»**:** لست بمنكر فضائل عمر، ولكن أبا بكر أفضل من عمر، فقال على رأس المنبر: «إن لي شيطاناً يعتريني، فإذا ملت فسددوني»..

فقال يحيى: قد روي أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: لو لم أبعث لبعث عمر.

فقال «عليه السلام»**:** كتاب الله أصدق من هذا الحديث، يقول الله في كتابه: **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾**[1] فقد أخذ الله ميثاق النبيين، فكيف يمكن أن يبدل ميثاقه؟!

وكل الأنبياء لم يشركوا بالله طرفة عين، فكيف يبعث بالنبوة من أشرك، وكان أكثر أيامه مع الشرك بالله..

وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: نبئت وآدم بين الطين والجسد.

فقال يحيى بن أكثم: وقد روي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: ما احتبس عني الوحي قط إلا ظننته قد نزل على آل الخطاب.

---

(1) الآية 7 من سورة الأحزاب.

فقال «عليه السلام»: وهذا محال، لأنه لا يجوز أن يشك النبي «صلى الله عليه وآله» في نبوته، قال الله تعالى: **(اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلا وَمِنَ النَّاسِ)** [1].. فكيف يمكن أن تنتقل النبوة ممن اصطفاه الله تعالى إلى من أشرك به؟!

قال يحيى: روي أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: لو نزل العذاب لما نجا منه إلا عمر..

فقال «عليه السلام»: وهذا محال أيضاً: لأن الله تعالى يقول: **(وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)** [2].. فأخبر سبحانه أنه لا يعذب أحداً ما دام فيهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وما داموا يستغفرون.. [3].

يحيى بن أكثم أداة أيضاً:

ونعتقد: أن يحيى لم يكن ليجرؤ على أمر كهذا بحضور المأمون، لو لم يكن يعلم برضاه به، وموافقته عليه.. بل إنه قد كان من الأعراف السائدة، أن لا يبادر أحد إلى أي تصرف في مجلس الخليفة، إلا بإذن صريح منه، وبدون ذلك فإنه يعرض نفسه للعقاب.

---

(1) الآية 75 من سورة الحج.

(2) الآية 33 من سورة الأنفال.

(3) هذه الرواية في الاحتجاج ج2 ص245 - 248 والبحار ج50 ص80 - 83 .

الأسئلة تحريضية:

ونحن إذا أخذنا مكانة أبي بكر، وعمر في الناس بنظر الاعتبار من جهة، وأخذنا بنظر الاعتبار أيضاً: أن الإمامة لأهل البيت «عليهم السلام» معناها رفض إمامة غيرهم واعتبارهم معتدين وغاصبين، فإننا نعرف أن طرح هذه الأسئلة على الإمام «عليه السلام» قد جاء في سياق خطة تحريضية ماكرة وخبيثة، وذلك لأن الإمام «عليه السلام»، إذا قبل بتلك الكرامات والفضائل، التي تنسب إلى أبي بكر وعمر، فإنه يكون قد نقض الأساس الذي تقوم عليه إمامته وإمامة آبائه الطاهرين.

كما أن الكثيرين من شيعته وأتباعه لسوف يرتابون بالأمر، لعلمهم بأن ذلك خلاف ما عرفوه عنه وعن آبائه «عليهم السلام»، وخلاف ما ثبت لديهم في هذا المجال.. وقد لا يمكنهم تفسير ذلك على أساس مبدأ العمل بالتقية، لأنهم يرون أنه في موضع القوة، ويرون أن المأمون معه وإلى جانبه، وهذا سوف يوقعه في تناقض صريح معهم.

أضف إلى ذلك: أن أتباع الخلفاء سوف يعتبرون هذا نصراً لهم، وسيتمكنون من خداع الكثيرين بهذا الاعتراف الصريح..

وإذا أنكر تلك الفضائل وردها، فإن عامة الناس وأرباب سائر الفرق، سوف يثورون ضده، ولعل ذلك يتم بتحريض خفي من المأمون نفسه، وقد لا يرضيهم حينئذٍ إبعاده عن موقعه، الذي ترى السلطة نفسها مضطرة لأن تضعه فيه.. فيطالبون بما هو أشد وأعظم،

وأخطر وأدهى، ليس بالنسبة لشخص التقي الجواد «عليه السلام» وحسب، وإنما بالنسبة لكل أتباعه ومحبيه في سائر الأقطار والأمصار..

ولكننا نجد الإمام «عليه السلام» قد استطاع في إجابته على تلك الأسئلة أن يحتفظ بخطه الصحيح ويعطي رأيه الصائب في الأمور التي طرحت عليه من جهة، وأن يسد الطريق أمام ظهور أي تشنج غير مسؤول، سواء على مستوى العامة من الناس، أم على مستوى أهل العلم والمعرفة، الذين يخالفونه في الرأي في هذه المسائل، من جهة أخرى.

بالإضافة: إلى أنه لم يُبْقِ أي مجال لاستغلال غير مسؤول، من قبل من كانوا يترصدون الفرصة لذلك.. وعلى رأسهم المأمون العباسي بالذات..

حيث إنه عليه الصلاة والسلام قد طرح القضية بشكل علمي هادئ، قائم على الاستدلال والمنطق، الذي لن يجد أحد عنه محيصاً، مع التركيز على التهذيب في الكلمة، والرصانة في التعبير، وفي الأسلوب والسجاحة والسماحة في الأخلاق..

انحسار ظاهرة المناظرات:

ونلاحظ أخيراً: أننا لم نجد لتلك المناظرات العلمية، التي كان المأمون يهتم بها في عهد الرضا عليه الصلاة والسلام بما لا مزيد عليه، لا نجد لها أثراً في عهد الإمام الجواد «عليه السلام»، سوى

هذه الأحداث الثلاثة التي أشرنا إليها آنفاً، وأنها قد جرت بين يحيى بن أكثم والإمام الجواد عليه الصلاة والسلام، بإغراء من المأمون نفسه، علناً تارة، وفي الخفاء أخرى. وربما يكون التاريخ ـ بسبب قِدم العهد ـ قد أخفى عنا شيئاً من ذلك، ولكنه لابد أن يكون يسيراً جداً، لا يمكن أن يقاس بالسنوات الكثيرة التي عايش فيها الإمام المأمون..

فلماذا اختفت رغبة المأمون بجمع العلماء، وإقامة مجالس المناظرة مع الأئمة «عليهم السلام»؟!، واختفى معها ما كان يتظاهر به من حب العلم والعلماء، فجأة، وبفعل ساحر، وبصورة تامة ونهائية، فسبحان الله، مقلب القلوب والأفئدة، والمطلع على السرائر، وما تكنه الضمائر!!

نعم سبحان الله، علام الغيوب!!

وستار العيوب!!

وكاشف الكروب!!

قد يخدع السراب:

وبعد كل ما تقدم.. فإننا نشير إلى أن البعض قال:

«قصد المأمون من عقد مجالس المناظرة مع الإمام الرضا «عليه السلام» لزعزعة مركزه، ليهبط به، بينما كان قصده من المناظرة مع الإمام أبي جعفر «عليه السلام»: أن يظهر للملأ فضله..»[1].

---

(1) الإمام الجواد، لمحمد علي دخيل ص65.

وهو قول لا يستند إلى أساس قوي، ولا يعتمد على ركن وثيق، فإن المأمون كان هو المأمون، لم يتغير، ولم يتبدل، فلم يكن يوماً شيطاناً، ويوماً إنساناً.. بل كان أحدهما فقط في يوميه معاً، والوقائع والأحداث التي سبقت وتلت، هي التي تثبت أيهما كان!!

ومهما يكن من أمر: فقد غر ظاهر المأمون كثيرين من أرباب العلم والفضل، فتوهموا: أنه إنما كان يكرم الإمام التقي الجواد «عليه السلام» على الحقيقة، وأنه كان يعتقد بفضله، وعلمه، وأنه كان يودُّه ويحبه، حتى أحله محل مهجته الخ.. على حد تعبير بعضهم[1].

مع أنه قد مر التصريح منه أكثر من مرة بما ينم عن دخيلة نفسه، ويؤكد سوء نيته، كما في قصة البازي الأشهب، وحديث طلبه من ابن أكثم أن يقطع الإمام ولو في مسألة واحدة، وأنه احتال عليه بكل حيلة، وغير ذلك..

عقد ذنب البرذون:

ولكن الإمام «عليه السلام» لم يزل يظهر للناس ما يدلهم على أن له شأناً عظيماً، وأن لديه علوماً خاصة به، ليست لدى أحد غيره،

---

(1) راجع الإرشاد للمفيد، وإعلام الورى، وغير ذلك من المصادر التي تقدمت لقضية الزواج ـ وراجع أيضاً أعيان الشيعة ج2 ص33 ـ 36. وسيأتي ما يشير إلى ذلك في العنوان التالي، بعد الفقرات التي نقلناها من زيارته عليه السلام مباشرة..

ليؤكد لهم أمر إمامته «عليه السلام» عن هذا الطريق، حتى لقد روى أبو سليمان، عن صالح بن داود اليعقوبي، قال: لما توجه في استقبال المأمون إلى ناحية الشام، أمر أبو جعفر «عليه السلام»، أن يعقد ذنب دابته، وذلك في يوم صائف شديد الحر، لا يوجد الماء، فقال بعض من كان معه: لا عهد له بركوب الدواب، فإن موضع عقد ذنب البرذون غير هذا..[1].

قال: فما مررنا إلا يسيراً حتى ضللنا الطريق بمكان كذا، ووقعنا في وحل كثير، ففسد ثيابنا وما معنا، ولم يصبه شيء من ذلك..[2].

ولا شك في أن هذا الأمر سوف يلفت نظر من معه وغيرهم: إلى أن استقباله للمأمون لا يعني أن للمأمون امتيازاً عليه، بل هو يدخل في نطاق التصرفات الاضطرارية للإمام بالحق، تجاه متعدٍ، غاصبٍ، جبار..

المولود المبارك:

هذا.. ولكن رغم كل تلك المؤامرات والدسائس الرامية إلى الحط من الإمام الجواد «عليه السلام» في المناسبات المختلفة، فإن الإمام صلوات الله وسلامه عليه قد بقي القمة الشامخة، التي لم تنل منها العوادي، ولم تدنسها أهواء المبطلين، حتى ليقول النص التاريخي:

---

(1) البرذون: دابة الحمل الثقيلة. والتركي من الخيل، ويقابلها: العِراب.

(2) البحار ج50 ص45 وفي هامشه عن الخرائج والجرائح ص327.

«احتال المأمون على أبي جعفر «عليه السلام» بكل حيلة، فلم يمكنه فيه شيء»[1].

نعم.. لم يمكنه من شيء، وكان «عليه السلام» يزداد عظمة وتألقاً، ويزيد أمره تجذراً ورسوخاً، بشكل مرعب ومخيف لطلاب الدنيا، وعلى رأسهم المأمون والعباسيون، ومن تابعهم، وشايعهم، وقد استطاع «عليه السلام» أن يجتاز بالإمامة والأمة ذلك المخاض الصعب والمجهد، التي تعرضت له، على أحسن وأفضل ما يمكن، فركز دعائم الدين، وأقام الحجة، وأنار السبيل للمدلجين. وتجسد فيه قول أبيه الإمام المعصوم، علي بن موسى الرضا صلوات الله وسلامه عليه بصورة تامة وجلية:

«هذا المولود الذي لم يولد في الإسلام أعظم بركة منه»[2].

وعلى حسب نصٍ آخر: «هذا المولود، الذي لم يولد مولود أعظم على شيعتنا بركة منه»[3].

كما أننا نقرأ في زيارته عليه الصلاة والسلام: «هادي الأمة،

---

(1) الكافي ج1 ص413 والمناقب لابن شهرآشوب ج4 ص396 والبحار ج50 ص61.

(2) البحار ج50 ص20 عن الخرائج والجرائح.

(3) إعلام الورى ص347 والإرشاد للمفيد ص358 والكافي ج1 ص258 والبحار ج50 ص23 و35 عمن تقدم، وروضة الواعظين ص237 والصراط المستقيم ج2 ص167 وإثبات الوصية ص211.

ووارث الأئمة، وخازن الرحمة، وينبوع الحكمة، وقائد البركة، وعديل القرآن في الطاعة، وواحد الأوصياء في الإخلاص والعبادة. وحجتك العليا، ومثلك الأعلى، وكلمتك الحسنى، الداعي إليك، والدال عليك، الذي نصبته علماً لعبادك، ومترجماً لكتابك، وصادعاً بأمرك، وناصراً لدينك، وحجة على خلقك، ونوراً تخرق به الظلم، وقدوة تدرك بها الهداية، وشفيعاً تنال به الجنة الخ..»[1].

نعم.. ولم يزل أمر الإمام «عليه السلام» يعلو، ونجمه يتألق، حتى أصبح ـ على صغر سنه ـ يُقِرُّ له بالعلم والفضل المؤالف والمخالف، والعدو والصديق.

ولربما تكون تلك المجالس التي كانت السلطة وراء إقامتها قد ساهمت في إظهار علمه وفضله، وانتشار صيته «عليه السلام» إلى حد بعيد..

ومن يراجع حادثة التزويج يجد الثناء العظيم عليه ـ وكان عمره آنئذٍ تسع سنين ـ حيث يذكر المأمون أيضاً: أنه «إنما اختاره لتميزه على كافة أهل الفضل علماً، ومعرفة، وحلماً، على صغر سنه».

كما أنه: «لم يزل مشغوفاً به، لما ظهر له بعد ذلك من فضله

---

(1) مفاتيح الجنان ص481 عن ابن طاووس في المزار، ومصابيح الجنان ص323.

وعلمه، وكمال عظمته، وظهور برهانه، مع صغر سنه»[1].

وقال سبط ابن الجوزي: «وكان على منهاج أبيه في العلم، والتقى، والزهد، والجود»[2].

كما أن الجاحظ المعتزلي العثماني النزعة، والمنحرف عن الإمام علي «عليه السلام» وأهل بيته الأطهار، والذي كان يعيش في البصرة، كان طويل الباع، وواسع الاطلاع، وقد كتب في كثير من الفنون، التي كانت شائعة في عصره، والذي كان معاصراً للإمام الجواد، ولأبنائه من بعده «عليهم السلام»..

الجاحظ هذا ـ قد جعل الإمام الجواد عليه الصلاة والسلام: «من الذين يعد من قريش، أو من غيرهم، ما يعد الطالبيون في نسق واحد، كل واحد منهم: عالم زاهد، ناسك، شجاع، جواد، طاهر، زاك، فمنهم خلفاء، ومنهم مرشحون: ابن ابن، ابن ابن، هكذا إلى عشرة، وهم:

الحسن بن علي، بن محمد، بن علي، بن موسى، بن جعفر، بن محمد، بن علي، بن الحسين، بن علي.

---

(1) راجع: الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص254 و253 والصواعق المحرقة ص204 ونور الأبصار ص161 وروضة الواعظين ص237 وكشف الغمة ج3 ص143 و160 وإعلام الورى ص350 - 351 والإرشاد للمفيد، وغير ذلك مما تقدم في حديث الزواج..

(2) تذكرة الخواص ص358 ـ 359 وعنه الإمام الجواد لمحمد علي دخيل ص72.

وهذا لم يتفق لبيت من بيوت العرب، ولا من العجم الخ..»[1].

وقال علي جلال الحسيني: «برز على أهل زمنه في العلم، والفضل، مع صغر سنه»[2].

وقال محمود بن وهيب البغدادي الحنفي: «وهو الوارث لأبيه علماً وفضلاً، وأجلّ إخوته قدراً وكمالاً»[3]..

وكلمات العلماء في هذا المجال كثيرة لا مجال لتتبعها[4]..

شغف أهل بغداد بالإمام الرضا عليه السلام:

وعلى كل حال.. فلقد كان «عليه السلام» مورد تقدير وعناية الخاص والعام، وبلغ من حب الناس له، وشغفهم به، وتشوقهم إلى رؤية طلعته البهية، وأنواره القدسية، أنه كان إذا خرج إلى شوارع العاصمة ـ عاصمة الخلافة ـ بغداد، يتراكض الناس من هنا وهناك، ويتشرفون، ويقفون لرؤيته..

الأمر الذي يعطي: أن رؤيته «عليه السلام» كانت تعتبر حدثاً

---

(1) آثار الجاحظ ص235، والحياة السياسية للإمام الرضا ص403 وليراجع ما هناك من التوضيح.

(2) الإمام محمد الجواد، لمحمد علي دخيل ص76 عن كتاب الحسين ج2 ص207.

(3) المصدر السابق عن جوهرة الكلام ص147.

(4) راجع على سبيل المثال: الإرشاد للمفيد، وإعلام الورى وأعيان الشيعة ج2 ص33، والفصول المهمة للمالكي ص251.

هاماً بالنسبة إليهم..

قال قاسم بن عبد الرحمن ـ وكان زيدياً ـ : «خرجت إلى بغداد، فبينا أنا بها، إذ رأيت الناس يتعادون، ويتشرفون، ويقفون. فقلت: ما هذا؟! فقالوا: ابن الرضا. ابن الرضا.

فقلت: والله، لأنظرن. فطلع على بغل أو بغلة.

فقلت: لعن الله أصحاب الإمامة، حيث يقولون: إن الله افترض طاعة هذا.

فعدل إليَّ، وقال: يا قاسم بن عبد الرحمن، **(أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَفِي ضَلاَلٍ وَسُعُرٍ)** [1]..

فقلت في نفسي: ساحر والله..

فعدل إلي فقال: **(أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ)** [2].

قال فانصرفت، وقلت بالإمامة، وشهدت أنه حجة الله على خلقه واعتقدت الخ..» [3]..

---

(1) الآية 24 من سورة القلم.

(2) الآية 25 من سورة القلم.

(3) البحار ج50 ص64 وكشف الغمة ج3 ص153.

الفصل السابع:

المعتصم: في أسلوبه الغبي، والجبان.

الهم الأول للمعتصم:

وأخيراً.. فإننا نجد المعتصم العباسي، بمجرد أن بويع له بالخلافة، توجه نحو الإمام الجواد «عليه السلام» «وجعل يتفقد أحواله، فكتب إلى عبد الملك الزيات: أن ينفذ إليه التقي، وأم الفضل، فأنفذ ابن الزيات علي بن يقطين[1] إليه، فتجهز، وخرج إلى بغداد. فأكرمه، وعظمه، وأرسل أشناس بالتحف إليه، وإلى أم الفضل»[2].

وكان استقدام المعتصم له في أول السنة التي توفي بها «عليه

---

(1) قال المحقق البحاثة السيد مهدي الروحاني حفظه الله: إن علي بن يقطين كان قد توفي قبل ذلك الزمان، أي في سنة182هـ.ق.

ونقول: هذا صحيح. ويمكن أن يكون الصحيح هو: الحسن بن علي بن يقطين، أو أخوه الحسين بن علي بن يقطين.. ومعنى ذلك: أن في الرواية سقطاً؛ فليلاحظ..

(2) المناقب لابن شهرآشوب ج4 ص384 والبحار ج50 ص8. وأشار إليه ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة ص261 فليراجع هو وغيره من المصادر.

السلام».. [1].

وهذا.. إن دل على شيء، فإنما يدل على أن نفوذ الإمام عليه الصلاة والسلام، كان قد اتسع وتعاظم بحيث جعل المعتصم، يبادر فور بيعته إلى تفقد أحواله «عليه السلام» ورصدها..

وأخيراً.. فلا يجد حيلة إلا أن يستقدم الإمام «عليه السلام» إليه، لنفس الأهداف التي سبق أن دعت المأمون لاستقدامه وأبيه عليهما الصلاة والسلام من قبل..

للإمام أسلوبه مع أوليائه:

ولسنا نشك: في أن المعتصم العباسي كان يخشى من نفوذ الإمام «عليه السلام».. حيث إنه رغم كل ما كان يعتبره مزايا ضعف، قد استطاع «عليه السلام» أن يجعل منه مزايا قوة، وأن يجد حتى في رجالات الدولة، من يتفانى في حبه، ويطفح قلبه بالتشيع له..

فقد روى الكليني عن: «محمد بن يحيى، ومحمد بن أحمد، عن السياري، عن أحمد بن زكريا الصيداني، عن رجل من بني حنيفة، من أهل بست وسجستان، قال:

رافقت أبا جعفر في السنة التي حج فيها في أول خلافة المعتصم، فقلت له، وأنا معه على المائدة، وهناك جماعة من أولياء السلطان: إن

---

(1) الكافي ج1 ص411 والبحار ج50 ص1 و2 و8 و13 والإرشاد للمفيد ص368 والمناقب لابن شهرآشوب ج4 ص380 وإعلام الورى ص354.

والينا ـ جعلت فداك ـ رجل يتولاكم أهل البيت ويحبكم، وعليَّ في ديوانه خراج، فإن رأيت جعلني الله فداك، أن تكتب إليه بالإحسان إليَّ؟!

فقال: لا أعرفه.

فقلت: جعلت فداك، إنه على ما قلت، من محبيكم أهل البيت، وكتابك ينفعني عنده.

فأخذ القرطاس فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد..

فإن موصل كتابي هذا ذكر عنك مذهباً جميلاً، وإنما لك من عملك ما أحسنت فيه، فأحسن إلى إخوانك.

واعلم أن الله عز وجل سائلك عن مثاقيل الذر والخردل.

قال: فلما وردت سجستان سبق الخبر إلى الحسين بن عبد الله النيسابوري، وهو الوالي، فاستقبلني على فرسخين من المدينة، فدفعت إليه الكتاب، فقبله، ووضعه على عينيه، وقال لي: حاجتك؟

فقلت: خراج عليَّ في ديوانك.

قال: فأمر بطرحه عني، وقال: لا تؤد خراجاً ما دام لي عمل، ثم سألني عن عيالي، فأخبرته بمبلغهم، فأمر لي ولهم بما يقوتنا وفضلاً.

فما أديت في عمله خراجاً ما دام حياً، ولا قطع عني صلته حتى

مات..»[1].

ويلاحظ هنا:

أولاً: مدى فناء هذا الرجل في محبة الإمام الجواد «عليه السلام»، وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم..

ثانياً: إنه «عليه السلام» قد أنكر في بادئ الأمر معرفته به، ولعله من أجل الحفاظ عليه، حيث يعلم: أن في مجلسه من هو من موالي السلطان وجواسيسه.

ثالثاً: إنه «عليه السلام» لم يأمر في رسالته ذلك العامل بشيء خاص، وإنما وعظه وخوفه من حساب الله سبحانه، وعرفه أن ما يجديه من عمله هو ما أحسن فيه، كما أنه قد أشار في الرسالة إلى أن ذلك الرجل هو الذي نقل عنه ذلك المذهب الجميل، ولم يضف إلى ذلك ما يفيد صحة ما نقل له عنه..

التزوير المعتصمي:

وذلك كله هو الذي يوضح لنا: سر اهتمام المعتصم برصد حركات الإمام «عليه السلام»، ثم استقدامه إليه ليكون على مقربة منه.. كما أن ذلك يجعلنا لا نستغرب عليه أن يبذل محاولة تزويرية، تهدف إلى تبرير الإيقاع بالإمام «عليه السلام»، ولكن السحر ينقلب على الساحر، فيبوء بالفشل الذريع، ويمنى بالخيبة القاتلة..

---

(1) البحار ج50 ص86 و87 والكافي ج5 ص111 و112.

وتتلخص هذه المحاولة التزويرية الرخيصة في:

«أن المعتصم دعا جماعة من وزرائه، فقال: اشهدوا لي على محمد بن علي، بن موسى زوراً، واكتبوا: أنه أراد أن يخرج..

ثم دعاه، فقال: إنك أردت أن تخرج عليَّ!

فقال: والله، ما فعلت شيئاً من ذلك..

قال: إن فلاناً وفلاناً شهدوا عليك..

فأحضروا، فقالوا: نعم. هذه الكتب أخذناها من بعض غلمانك الخ..».

ثم تذكر الرواية: أن الإمام عليه الصلاة والسلام دعا عليهم، فأخذ البهو يموج بهم، فطلب المعتصم منه أن يدعو الله لتسكينه، ففعل، فسكن[1]..

الظلم والظالمون:

ولكنه رغم كل مضايقاتهم، فإن الإمام «عليه السلام» لا يتزحزح قيد أنملة عن موقفه الذي يرفض الخضوع لحكام الجور، ويرفض مختلف أشكال التعامل معهم:

وقد روي عن خيران الخادم القراطيسي أنه قال: «وكان الريان بن شبيب قال لي: إن وصلت إلى أبي جعفر «عليه السلام»، قلت له: مولاك الريان بن شبيب يقرأ عليك السلام، ويسألك الدعاء له ولولده..

(1) البحار ج50 ص45 ـ 46 وفي هامشه عن: الخرائج والجرائح ص237.

[فذكرت له ذلك]: فدعا له، ولم يدع لولده..

فأعدت عليه، فدعا له، ولم يدع لولده..

فأعدت عليه ثالثاً، فدعا له، ولم يدع لولده..

فودعته وقمت..

فلما مضيت نحو الباب سمعت كلامه، ولم أفهم ما قال، وخرج الخادم في أثري، فقلت له: ما قال سيدي لما قمت؟

فقال لي: قال: من هذا الذي يرى أن يهدي نفسه؟

هذا ولد في بلاد الشرك، فلما أخرج منها سار إلى من هو شر منهم، فلما أراد الله أن يهديه هداه..»[1].

فهو يرفض الدعاء لهذا الشخص، لمجرد أنه مع الظالمين، وهو يرى أن هؤلاء الظالمين أشرّ من أهل الشرك في بلاد الشرك!!

فكم كان يعاني صلوات الله وسلامه عليه، من أذى في تلك الأجواء التي كان يسعى أولئك الظالمون لإثارتها من حوله..

هذا.. ويلاحظ: أنه «عليه السلام» لا يزال يلمح ويصرح بإدانة الظلم، والظالمين، والمعينين لهم، والراضين بظلمهم، فقد روي «عليه السلام» عنه أنه قال:

«العامل بالظلم، والمعين له، والراضي به، شركاء»[2].

---

(1) رجال الكشي ص609 و610 والبحار ج50 ص107.

(2) كشف الغمة ج3 ص138.

وقال: «يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم»[1].

نعم القادر الله:

وغني عن البيان: أن الحركة السياسية للأئمة «عليهم السلام»، لا تقتصر على بعض المواقف القوية التي تختزن الكثير من التصميم على مواجهة أخطار التحدي للسلطة، ولركائزها السياسية العقائدية..

بل يتعدى ذلك ليطبع حياتهم كلها بطابع الجهاد، ولتكون كل كلماتهم ومواقفهم، وكل أسلوب حياتهم زاخراً بالمعاني، غنياً بالمعطيات، حتى أكلهم وشربهم، ومشيهم، وركوبهم، ولبسهم، في ألوانه، وفي تكوينه، وحتى ألقابهم، وحتى في نقش خواتيمهم.

وقد كتبنا عن نقش خاتم الإمام الجواد «عليه السلام»، ما يلي:

«بعد أن تمكن المأمون من تغيير مجريات الأمور لصالحه، ولصالح تثبيت دعائم الحكم العباسي، عن طريق إجبار الإمام الرضا «عليه السلام» على قبول ولاية العهد، وبيعة الناس له «عليه السلام» بها.. ثم تمكنه من تصفية الإمام «عليه السلام» جسدياً بدس السم إليه..

وبعد أن أخمدت الثورات، وخنقت جميع الأصوات، وعادت المياه إلى مجاريها بين المأمون وبني أبيه العباسيين، فإن من الطبيعي

---

(1) المصدر السابق وكذا الأحاديث التالية.

أن يشعروا (المأمون، والعباسيون، وأعوانهم): أنهم قد حققوا غاية آمالهم، وحصلوا على أعز وأغلى أمنياتهم، ألا وهي تثبيت دعائم ملكهم، وترسيخ أركان سلطانهم، وأنه لم يعد ثمة أية قوة تستطيع أن تقف في وجه جبروتهم، ومقابل فاحش طغيانهم..

بعد كل ذلك نلاحظ: أن نقش خاتم الإمام الجواد «عليه السلام»، يتحدى كل تصوراتهم تلك، ويدين جميع مظاهر بغيهم وظلمهم، فيكون هو: «**نعم القادر الله**»..

وهذا هو نفس نقش أحد الخواتيم التي كانت لأمير المؤمنين «عليه السلام» من قبل، في ظروف لا تبتعد عن ظروف حفيده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين..

متى الفرج؟:

وفي عودة منا لسياق الحديث نقول: إن مضايقات السلطة لأبي جعفر «عليه السلام» كانت لا تطاق، حتى لقد روي عن ابن بزيع العطار، قال: قال أبو جعفر «عليه السلام»: الفرج بعد المأمون بثلاثين شهراً. قال: فنظرنا، فمات «عليه السلام» بعد ثلاثين شهراً..[1].

فإذا كان «عليه السلام»، يرى أن في الموت فرجاً، فإن ذلك يفسح المجال أمام تصوراتنا لحقيقة المعاناة التي كان يكابدها الإمام

(1) كشف الغمة ج3 ص153 والبحار ج50 ص64 عنه.

«عليه السلام»، مع هؤلاء الظالمين..

الأسلوب الجبان:

قلنا: إن السلطة قد أدركت: أن اغتيال الإمامة عن طريق إفراغها من محتواها العلمي، باعتماد أسلوب الحجاج والخصام، قد أفاد في تعزيز دعوة أهل البيت «عليهم السلام»، وخطهم، بدل أن يكون الأمر على عكس ذلك..

وقد ظهر لهم: أن السلطة، بإعدادها أجواء الحجاج هذه، إنما كانت تبحث عن حتفها بظلفها، وتهيء أسباب انتشار الدعوة ورسوخها، وتعريف الناس بها وبخصائصها..

الأمر الذي ينذر بالخطر الداهم، ويبشر بالخسران المبين والعظيم لها، ليس فقط في مجال الحجاج، القائم على العقل والفكر، والمنطق، والبرهان، بل هو سوف يؤثر على قدرتها على مواجهة هذا الاتجاه فيما سوى ذلك من مجالات، ولاسيما في المجال السياسي..

وأدركت كذلك.. أن اعتماد أسلوب اغتيال شخصية الإمام «عليه السلام»، وقدسيته من النفوس، وهدر كرامته بالشائعات، والاتهامات، لا يجدي كثيراً.. بل هو ربما يكون قد ساعد في إظهار الكثير من الخصائص والمزايا، التي يهتم الحكام بطمسها، والتعتيم عليها بكل ما يقدرون عليه..

وهي أيضاً: قد فشلت في عملية التزوير والافتراء على الإمام «عليه السلام»، بهدف إيجاد المبرر للتخلص منه بشكل علني وسافر،

على النحو الذي يسمح بملاحقته بعد ذلك بحملة إعلامية مركزة، لتشويه سمعته، والنيل من قداسته في نفوس الناس..

بعد كل هذا وسواه: اتجهت السلطة المتمثلة بشخص المعتصم العباسي لعنه الله ـ بعد أن رأى كيف أن كيدهم، ومكرهم، قد عاد إليهم، وأن ما دبروه قد انقلب عليهم ـ اتجهت إلى التفكير والتخطيط للتخلص منه عليه الصلاة والسلام، بتلك الطريقة الجبانة، التي انتهجها الأسلاف الجبارون مع سلفه الصالح.. ألا وهي دس السم إليه صلوات الله وسلامه عليه.. حيث إنها هي الطريقة الوحيدة التي يمكنهم الاعتماد عليها، من دون أن تعرضهم لمشاكل ولأخطار ربما لا يتمكن الحكم من الصمود أمامها، أو من تجاوزها بيسر وسهولة..

السبب المباشر للاغتيال:

ويذكرون: أن السبب المباشر للاغتيال، هو ما ذكره ابن أبي دؤاد للمعتصم، من أنه قال للمعتصم حينما رجع إلى قول الإمام الجواد «عليه السلام»، في مسألة قطع يد السارق، وترك أقوال الفقهاء الآخرين..

«ثم يترك أقاويلهم كلهم لقول رجل يقول شطر هذه الأمة بإمامته، ويدَّعون: أنه أولى بمقامه، ثم يحكم بحكمه، دون حكم الفقهاء؟!

قال: فتغير لونه، وانتبه لما نبهته له»..

ثم تذكر الرواية: أن المعتصم قد دس السم إلى الإمام «عليه

السلام» في اليوم الرابع[1].

وبعد.. فإن من الطبيعي: أن لا تنظر السلطة لهذه القضية العقائدية الخطيرة بعين الرضا والقبول، وأن تسعى لعرقلة جهود أصحابها ومعتنقيها لنشر فكرهم، والتبشير بمبادئهم وعقائدهم..

بل ستجد نفسها مندفعة بقوة وحماس نحو مقاومة هذه العقيدة، ومحاربتها، ومحاربة معتنقيها، والدعاة إليها، بمختلف الوسائل والأساليب التي تقع تحت اختيارها، وتتمكن من الاستفادة منها، بشكل أو بآخر.. لأن قضيتها معها تصبح قضية مصير، وحياة أو موت..

أما بالنسبة للرمز الذي يمثل هذه العقيدة، فسوف لن يهنأ لها عيش، ولن يقر لها قرار، إلا بعد القضاء عليه قضاءً مبرماً ونهائياً، ومحوه وكل آثاره عن صفحة هذا الوجود، ما وجدت إلى ذلك سبيلاً..

الوسيلة.. والأداة:

وكانت الوسيلة والأداة التي استخدمها المعتصم العباسي في ذلك هي: بنت المأمون بالذات،[2] والتي كانت زوجة الإمام «عليه السلام»، والرقيب لهم عليه، كما يظهر.. وكانت العدة التي ادخروها للقيام بمثل هذه المهمة وتنفيذها بدقة، وبأمانة، وفي الوقت المناسب..

وإذا كانوا قد نجحوا في التكتم على جريمتهم إلى حد جعل الشيخ

---

(1) تفسير العياشي ج1 ص319 - 320 والبحار ج50 ص6 - 7.

(2) راجع البحار ج50 ص13 و17 والمصادر الآتية في الهامش ما بعد الآتي.

المفيد رضوان الله تعالى عليه، وهو الرجل العظيم والدقيق النظر، يشك في إقدامهم على هذه الجريمة النكراء.. حيث قال: «وقيل إنه مضى مسموماً، ولم يثبت عندي بذلك خبر فأشهد به».. [1].

فإننا نجد:

أن الكثيرين أعلنوا بالفعل: أن أولئك الحكام قد اقترفوا هذه الجريمة. تصريحاً تارة، وتلويحاً أخرى[2].

بل لقد كان ذلك متوقعاً منذ اللحظات الأولى للزواج، حسبما أسلفناه..

وقد بلغ وضوح هذا الأمر حداً أصبح الإمام الجواد التقي عليه أفضل الصلاة والسلام يعد من جملة الثمانية أعداء، الذين قتلهم

---

(1) راجع: الإرشاد ص368. والبحار ج50 ص3 عنه.

(2) راجع: المناقب لابن شهرآشوب ج4 ص380 عن ابن بابويه، وص384 وإثبات الوصية ص219 - 220 وعيون المعجزات ص129 وتاريخ الشيعة ص55و57 ونور الأبصار ص163 وجلاء العيون ج3 ص112 عن المناقب وعيون المعجزات، والعياشي وسر السلسلة العلوية ص38 وتفسير العياشي == ج1 ص319 - 320 وتذكرة الخواص ص359 ونسبه إلى الإمامية والبحار ج50 ص17 و2 و9 و8 و7 عن بعض من تقدم، وعن الروضة، ومروج الذهب ج3 ص464 وأعيان الشيعة ج2 ص35 وروضة الواعظين ص243 والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص262.

المعتصم ـ وقد سمي المثمن، لكثرة الثمانيات التي اتفقت له في حياته حسبما يقولون، وكانت هذه إحداها..

يقول الصفدي، وابن شاكر الكتبي: «وقتل ثمانية أعداء: بابك، وباطيش، ومازيار، والأفشين، وعجيف، وقاروت، وقائد الرافضة، ورئيس الزنادقة»[1].

وقال ابن طاووس عليه الرحمة في دعاء كل يوم من شهر رمضان:

«اللهم صلّ على محمد بن علي، إمام المسلمين، ووال من والاه، وعاد من عاداه، وضاعف العذاب على من شرك في دمه. وهو المعتصم»[2].

كيف استشهد عليه السلام:

وأما عن كيفية استشهاده فهناك روايات تقول إنه سم على يد زوجته أم الفضل بنت المأمون، بإيعاز من عمها المعتصم نفسه..

ولكن بعض الروايات تقول: إنه بعد أن استقدمه المعتصم، أنفذ إليه شراب حماض الأترج، تحت ختمه على يدي أشناس، فقال: إن أمير المؤمنين ذاقه، قبل أحمد بن أبي دؤاد، وسعيد بن الخضيب،

---

(1) الوافي بالوفيات ج5 ص139 وفوات الوفيات ج4 ص48.

(2) إقبال الأعمال ص97 والبحار ج50 ص15.

وجماعة من المعروفين. ويأمرك أن تشرب منها بماء الثلج، وصنع في الحال، وقال: اشربها بالليل، وقال: إنها تنقع بارداً، وقد ذاب الثلج. وأصر على ذلك. فشربها عالماً بفعلهم[1].

وفي نص آخر: أن ابن أبي دؤاد حرَّض المعتصم على قتله، بعد قضية جرت، ترتبط بقطع يد السارق، حيث أقام الإمام «عليه السلام» عليهم الحجة، وأخذ المعتصم بقوله دونهم. فقال ابن أبي دؤاد للمعتصم:

«إن نصيحة أمير المؤمنين علي واجبة، وأنا أكلمه بما أعلم أني أدخل به النار!

قال: ما هو؟

قلت: جمع أمير المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيته وعلماءهم لأمر واقع من أمور الدين، فسألهم الحكم فيه، فأخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك، وقد حضر مجلسه أهل بيته وقواده، ووزراؤه، وكتابه، وقد تسامع الناس بذلك من وراء بابه، ثم يترك أقاويلهم لقول رجل يقول شطر هذه الأمة بإمامته. ويدَّعون أنه أولى منه بمقامه، ثم يحكم بحكمه، دون حكم الفقهاء؟!

قال: فتغير لونه، وانتبه لما نبهته له.

وقال: جزاك الله عن نصيحتك خيراً..

---

(1) المناقب لابن شهرآشوب ج4 ص384 والبحار ج5 ص8.

قال: فأمر اليوم الرابع فلاناً، من كتاب وزرائه، بأن يدعوه إلى منزله، فدعاه، فأبى أن يجيبه، وقال: قد علمت أني لا أحضر مجالسكم.

فقال: إني إنما أدعوك إلى الطعام، وأحب أن تطأ ثيابي، وتدخل منزلي، فأتبرك بذلك، فقد أحب فلان بن فلان ـ من وزراء الخليفة ـ لقاءك..

فصار إليه، فلما طعم منها أحس السم، فدعا دابته، فسأله رب المنزل أن يقيم، قال: خروجي من دارك خير لك.

فلم يزل يومه ذلك وليله في خلفة[1]، حتى قبض «عليه السلام»[2]..

ولعل دس السم إليه «عليه السلام»، قد تكرر، ويمكن أن يكون المعتصم قد بذل المحاولات الثلاث في يوم واحد، لكي يتأكد لديه النجاح فيما يرمي إليه..

كما ويلاحظ: أن رواية أشناس لا تصرح بأنه «عليه السلام» قد استشهد نتيجة لشربه ذلك الشراب..

وحول توهم وفاته «عليه السلام» في زمن الواثق راجع كتاب

---

(1) الخلفة: إنطلاق البطن، والقيء والقيام جميعاً.

(2) البحار ج50 ص6 و7 وتفسير العياشي ج1 ص320 وتفسير البرهان ج1 ص471 والوسائل ج18 ص490 ذكر شطراً من الحديث.

بحار الأنوار..[1] فإن ذلك ناشئ عن صلاة الواثق عليه في ظاهر الحال، حسبما أشار إليه العلامة المجلسي رحمه الله تعالى..

كلام العلامة المظفر:

وأخيراً:

فقد قال العلامة الشيخ محمد حسين المظفر قدس الله نفسه:

«وكان يجمع العلماء، ليحاججوه، زعماً منه: أن يجد له زلة، يؤاخذه فيها، أو يسقط مقامه بها.

وزور عليه مرة كتباً تتضمن الدعوة لبيعته، فلا يكون مغبة ذلك، إلا إعلاء شأن أبي جعفر، وإظهار الكرامة والفضل له.. فكان المعتصم لا يزداد لذلك إلا حنقاً وغيظاً، ولا يقوى على كتمان ما يسره من الحسد والحقد، فحبسه مرة، وما أخرجه من السجن، حتى دبر الأمر في قتله، وذلك أن قدم لزوجته ابنة المأمون سماً، وحملها على أن تدفعه للإمام، فأجابته إلى ما أراد، فمات قتيلاً بسم المعتصم. وعندما شاهدت أثر السم قد بان في بدن الإمام تركته وحيداً في الدار، حتى قضى نحبه.

واحتشدت الشيعة على الدار، واستخرجوا جنازته، والسيوف على عواتقهم، وقد تعاقدوا على الموت، لأن المعتصم حاول أن يمنعهم عن تشييعه..

---

(1) البحار ج50 ص8 و11 و12 و13.

وتعرف من مثل هذه الحادثة كثرة الشيعة ذلك اليوم في بغداد، وقوتهم على المراس. ومن كثرة الرواة منهم تعرف كثرة العلم فيهم. ومن كثرة الحجاج والجدال، لاسيما في الإمامة تعرف قوة الحجة عندهم، وقوة الكفاح عن المذهب، واتضاح أمرهم»[1].

اللمسات الأخيرة:

وبعد كل ما تقدم..

فإننا علينا أن نسجل هنا الحقيقة التالية: وهي:

أن الإمام الجواد «عليه السلام» قد قام بأعظم المهمات وأخطرها.. ولو أنه لم يقم طول حياته الشريفة بأي نشاط آخر، سوى ما ذكرناه من تثبيت دعائم الإمامة، وحفظ خط الوصاية والزعامة في أهل البيت عليهم التحية والسلام.. لكفاه ذلك رفعة وفخراً، وعظمة ومجداً، على مدى الدهور والعصور..

فإن نفس عجزهم عن النيل من مقام إمامته عليه الصلاة والسلام، ويبقى هو الزعيم والقائد، والوصي والإمام وعدم تمكنهم من مواجهته في أعظم ما يدَّعيه، رغم صغر سنه، ورغم أنه لم يتلق العلوم

---

(1) تاريخ الشيعة ص56 ـ 57. لكن ما ذكره من أنه قد سجن الإمام عليه السلام وموقف الشيعة حين استشهاده عليه السلام لم أعثر الآن له على مصدر وهو أعلم بما قال، ولعله استقى ذلك من مصادر أخرى لم يسعفني التقدير بالمراجعة إليها.

والمعارف من أحد من الناس سوى أبيه الذي عاش معه لفترة وجيزة جداً، حينما كان طفلاً.. إن هذا كاف في المراد، وواف في المقصود..

كما أن نفس قبول الشيعة بهذا الأمر، والتزامهم به، وهم الطائفة التي تأخذ على نفسها أن تكون منسجمة كل الانسجام مع المنطق والعقل، ومع الدليل القاطع، والبرهان الساطع، مهما كانت الظروف، وأياً كانت النتائج..

نعم.. إن هذا وذاك لهو من أعظم الأدلة على أحقية هذا الخط، وعلى سلامة هذا النهج، وعلى وضوح هذا السبيل..

وحتى حينما عملوا على قتله «عليه السلام»، بذلك الأسلوب العاجز والجبان، وكان عمره الشريف لا يزيد عن خمس وعشرين سنة إلا قليلاً..

فإن خليفته ووصيه، والقائم مقامه، هو الآخر يتولى هذا الأمر وهو صغير السن، بل كان عمره أقل من عمر أبيه حين تصدى لأمر الإمامة.. فيقف ليتحداهم، وليقهرهم، ويبهرهم، بنفس الحالة التي بهرهم وقهرهم بها أبوه من قبل..

ثم يتولى الإمامة بعد ذلك: الإمام الحجة «عليه السلام»، في سن أصغر من ذلك، حيث كان عمره خمس سنين فقط..

ويكون كل منهم «عليهم السلام» أعظم الدلالات، وأوضح السبل والمناهج، لتعريف الناس بمقام الإمامة، الذي أراد أعداؤهم، وعملوا بكل ما في وسعهم لتعمية الدلالات عليه، وتشويش، وطمس السبل والمناهج

إليه..

وقد كانت إمامة الهادي، بعد الإمام الجواد عليهما السلام، تتحدى سلطاناً غاشماً، ظالماً، متعصباً، لا يطيق ذكر الإمام علي «عليه السلام» بخير أبداً، وهو الذي حرث قبر الإمام الحسين «عليه السلام»، وأجرى عليه الماء، بهدف طمس معالمه، وليعفّي أثره، وكان منقاداً لزعيم تيار أهل الحديث الذي يعتمد النصوص أساساً لحركته الفكرية والإيمانية، وقد كان هؤلاء في أوج قدرتهم وفي عصرهم الذهبي، في ظل أكبر زعمائهم، وهو أحمد بن حنبل، تحميهم حراب سلطة لا تخاف الله في أهل البيت «عليهم السلام»، وفي شيعتهم، مع حرصهم الشديد والأكيد على التشكيك بالنصوص.. خصوصاً ما كان منها في حق الإمام علي وأهل بيته «عليهم السلام»، وبالأخص ما يثبت إمامتهم صلوات الله وسلامه عليهم..

وقد كان الفلج لأئمتنا الأطهار «عليهم السلام» على كلا هذين التيارين: تيار الإعتزال، وتيار أهل الحديث، وحيث كان التشيع في أضعف حالاته باعتقاد الناس، في أهم عنصر يقوم عليه، وهو عنصر الإمامة.. وذلك لصغر سن أئمتهم «عليهم السلام»..

ثم كان الإعتزال وأهل الحديث في أقوى حالاتهما، وفي عصريهما الذهبيين، وفي عهد عظماء أئمة الفريقين ومفكريهما، وحيث تتوفر كل الإمكانات لهم، وهم تحت رعاية وحماية السلطة بكل عساكرها، وقواها المادية والمعنوية، وحيث يتوفر البطش والتعصب،

والتسلح بالنص الديني المقدس، هو المسيطر في جانب أهل الحديث، وحيث يكون العقل والحنكة والحيلة والمكر، والسلطة وكل إمكاناتها ورموزها، وعظماء النحلتين، هم المسيطرون ومن ورائهم الشعب بكل طبقاته، والمذاهب، والنحل بجميع توجهاتها، في جانبهم..

نعم.. إن النجاح للشيعة في هذين الحالين سيكون الضمانة للنجاح في كل العصور والدهور، وسيكون هو الإنجاز الأعظم والأفخم كما قلنا..

فاتضح: أن هذه القضية ـ وهي إمامة التقي الجواد عليه الصلاة والسلام على صغر سنه ـ كانت من أعظم القضايا، التي مهدت لتلك المفاجأة الكبرى، التي تعرض لها الشيعة الإمامية في قضية الإمام المهدي عليه الصلاة والسلام، الذي أصبح إماماً، وعمره لا يزيد على الخمس سنوات، ثم غاب عنهم غيبته الصغرى، ثم الكبرى، عجل الله تعالى فرجه، وسهل مخرجه، وجعلنا من أعوانه وأنصاره، والمجاهدين، والمستشهدين بين يديه، إنه خير مأمول، وأكرم مسؤول..

ونعتقد: أن الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»، هو الذي بدأ التمهيد لهذا الحدث الهائل، وذلك حينما بايع الحسنين عليهما الصلاة والسلام في بيعة الرضوان ـ ولم يبايع صبياً غيرهما ـ حسبما ألمح المأمون إليه في كلامه المنقول عنه فيما تقدم..

وكذلك حينما أشهد الحسن «عليه السلام» على كتاب لثقيف، ثم

أخرجه النبي «صلى الله عليه وآله» مع أخيه «عليهما السلام» للمباهلة مع نصارى نجران، وغير ذلك..

ثم تلا ذلك قضية استشهاد الزهراء البتول بهما صلوات الله وسلامه عليها وعليهما.. حسبما أوضحنا ذلك كله في كتابنا: «**الحياة السياسية للإمام الحسن** عليه السلام».. فليراجعه من أراد..

وليكن هذا هو آخر كلامنا في ما يرتبط بالحياة السياسية للإمام التقي الجواد عليه الصلاة والسلام.. ونعتذر لعدم تمكننا من استيفاء الكلام في هذا المجال.. فإن ذلك يحتاج إلى توفر تام، ووقت طويل.. وما لا يدرك كله، لا يترك جله..

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

كلمة ختامية:

وبعد.. فقد كانت تلك دراسة موجزة، وسريعة جداً حول الحياة **«السياسية للإمام الجواد»** عليه التحية والصلاة والسلام..

ويمكن أن يكون قد اتضح منها، ولو بشكل محدود، أهمية ما قام به هذا الإمام العظيم من أثر في تثبيت قواعد الدين، والحفاظ على خط الإمامة، وفي التمهيد لذلك الحدث الكبير والعظيم، الذي تجسد بإمامة الإمام المهدي أرواحنا فداه، وهو صبي صغير السن، ثم غيبته الصغرى والكبرى عجل الله تعالى فرجه الشريف..

وإذا كانت ثمة أحداث كبرى لا تنسى في حياة الأمة والأئمة عليهم الصلاة والسلام، فإن هذا الحدث لابد أن يكون منها، وفي طليعتها أيضاً، فإنه لا يقل في أهميته عن هدنة الإمام الحسن «عليه السلام» مثلاً، ولا عن البيعة بولاية العهد للإمام علي الرضا «عليه السلام» ولا عن غيرهما من الأحداث الهامة والخطيرة.. وذلك لأنه يرتبط مباشرة بالهيكلية العقائدية للأئمة ولهذه الطائفة، التي تدين باستمرار خط الإمامة فيهم عليهم الصلاة والسلام.. ويمسها في الصميم.

نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لدراسة حياة الأئمة عليهم الصلاة والسلام من كافة جوانبها، للاستفادة منها في حياتنا الفكرية والعملية.. فإنهم «عليهم السلام» هم القدوة، وهم الأسوة، وهم أئمة الهدى، وأعلام التقى، وسفن النجاة..

وإنني إذ أعتذر للقارئ الكريم عن عدم تمكني في هذه العجالة من القيام بدراسة مستوعبة وشاملة لحياة هذا الإمام العظيم.. فإنني أطلب منه أن يتحفني بآرائه، وبملاحظاته حول هذا البحث المقتضب.. وله مني جزيل الشكر، ووافر التقدير..

والله هو الموفق، والمسدد، وهو المعين، وهو الهادي.

يوم الجمعة: 8 جمادى الأولى 1406 هجري قمري.

جعفر مرتضى الحسيني العاملي

المصادر والمراجع

- ألف -

1 ـ آثار الجاحظ، لجنة من أدباء مصر.
2 ـ الإتحاف بحب الأشراف، للشبراوي الشافعي ط سنة 1316هـ. ق المطبعة الأدبية، مصر .
3 ـ إثبات الهداة، للحر العاملي.
4 ـ إثبات الوصية، للمسعودي، منشورات جماعة المدرسين قم ، ايران.
5 ـ الإحتجاج للطبرسي، ط سنة 1390 وسنة 1386هـ . ق. المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق.
6 ـ أخبار الدول للقرماني، مطبوع بهامش الكامل في التاريخ، ط أولى 1301 مصر.
7 ـ الاختصاص للشيخ المفيد، منشورات جماعة المدرسين، قم، ايران.
8 ـ إختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشي، ط جامعة مشهد، سنة 1348 هـ ش، إيران.
9 ـ الإرشاد للشيخ المفيد، ط المطبعة الحيدرية سنة 1392 هـ ق. النجف الأشرف، العراق.
10 ـ الإستبصار للطوسي، ط سنة 1376 هـ ، النجف الأشرف، العراق.
11 ـ إعلام الورى بأعلام الهدى للطبرسي، ط سنة 1390 هـ ، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق.
12 ـ أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين، ط سنة 1403 هـ. ق. دار التعارف، بيروت، لبنان.
13 ـ إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس، ط حجرية، ايران.
14 ـ أمالي الصدوق للشيخ الصدوق، ط المطبعة الحيدرية، سنة 1389 هـ.ق. النجف الأشرف، العراق.
15 ـ الإمام محمد الجواد، لمحمد علي دخيل، دار التراث الإسلامي، بيروت، لبنان.
16 ـ أنساب الأشراف، للبلاذري، بتحقيق المحمودي، ط سنة 1394هـ ، بيروت، لبنان.
17ـ الأنوار البهية، الشيخ عباس القمي.

- ب -

18 - بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، طبعة حجرية قديمة، وط بيروت مؤسسة الوفاء، لبنان.

19 - البداية والنهاية لأبي الفداء ابن كثير ط سنة 1381 هـ. ق.

20 - بصائر الدرجات، لمحمد بن الحسن الصفار، ط سنة 1381 هـ. ق

21 - بغداد لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر الكاتب، المعروف بابن طيفور ط سنة 1368 هـ.ق.

- ت -

22 - تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

23 - تاريخ الخلفاء للسيوطي، ط سنة 1371 هـ. ق. مطبعة السعادة مصر.

24 - تاريخ الشيعة للشيخ محمد حسين المظفري، منشورات مكتبة بصيرتي، قم، ايران.

25 - تاريخ الطبري ط الإستقامة سنة 1948م. القاهرة، مصر.

26 - تاريخ نيسابور

27 - تذكرة الخواص، لسبط ابن الجوزي، ط المطبعة الحيدرية، سنة 1383هـ ، النجف الأشرف، العراق.

28 - تفسير الثعلبي، مخطوط.

29 - تفسير العياشي، ط المكتبة الإسلامية، طهران إيران.

30 - تفسير القمي لعلي بن ابراهيم بن هاشم، ط سنة 1387 هـ. ق بيروت، لبنان.

31 - التهذيب، للشيخ الطوسي، ط النجف الأشرف، العراق.

32 - تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ط دار صادر، بيروت، لبنان.

33 - التوحيد، للصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم، إيران.

- ج -

34 - جلاء العيون للسيد عبدالله شبر، منشورات مكتبة بصيرتي، قم، ايران.

35 - جوهرة الكلام،

- ح -

36 - حلية الأولياء، لأبي نعيم، ط دار الكتاب العربي، ط سنة 1387هـ ، بيروت، لبنان.

37 - الحور العين للأمير نشوان الحميري، ط سنة 1972م. إيران.

38 - الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام للمؤلف، مشورات جماعة المدرسين، قم، ايران، ودار السيرة، بيروت، لبنان.

39 ـ الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام للمؤلف، مشورات جماعة المدرسين، قم ، ايران.

ـ خ ـ

40 ـ الخرايج والجرايح للراوندي، ط المصطفوي، ايران.

ـ د ـ

41 ـ دراسات وبحوث في التاريخ و الإسلام، ط مركز جواد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
42 ـ دلائل الإمامة للطبري، ط سنة 1383هـ. ق. المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق.
43 ـ دلائل الصدق، للمظفر، ط سنة 1395 هـ . ق. قم، إيران.
44 ـ الدمعة الساكبة.

ـ ذ ـ

45 ـ ذكر أخبار أصفهان لابي نعيم، ط سنة 1934م ليدن ، ثم مؤسسة النصر، طهران، ايران.

ـ ر ـ

46 ـ روضة الواعظين، للفتال النيسابوري، ط سنة 1386هـ . ق المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.

ـ س ـ

47 ـ سر السلسلة العلوية لابي نصر البخاري، ط سنة 1381 هـ. ق. الحيدرية، النجف الأشرف، العراق.
48 ـ سفينة البحار، للشيخ عباس القمي، ط مؤسسة انتشارات فراهاني، إيران.

ـ ش ـ

49 ـ شرح ميمية أبي فراس لإبن أمير الحاج.

ـ ص ـ

50 ـ صحيح البخاري، ط سنة1309 هـ. ق. وط محمد علي صبيح وأولاده، مصر.
51 ـ الصحيح من سيرة النبي الأعظم، لجعفر مرتضى العاملي الطبعة الرابعة، دار السيرة ودار الهادي 1415 هـ. ق 1995م، بيروت، لبنان.
52 ـ صحيفة الأبرار
53 ـ الصراط المستقيم، للبياضي العاملي، ط سنة 1384 هـ ، مطبعة الحيدري.
54 ـ الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي، دار المحمدية، القاهرة، وط سنة 1312

وط دار البلاغة، مصر.

- ط -

55 - طبقات الأطباء، لابن جلجل.

- ع -

56 - العقد الفريد لابن عبد ربه ط سنة 1384 هـ. ق. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

57 - علل الشرايع، للشيخ الصدوق، ط الحيدرية، سنة 1385 هـ. ق. النجف الأشرف، العراق.

58 - عنوان المعارف في ذكر الخلائف، للصاحب بن عباد، ط سنة 1385 هـ. ق. مطبعة الإرشاد، بغداد العراق.

59 - عيون أخبار الرضا (ع) للشيخ الصدوق، ط سنة 1377 هـ. ق. قم، ايران.

60 - عيون المعجزات للشيخ حسين بن عبد الوهاب، أو للمرتضى، منشورات مكتبة الداوري، قم، ايران.

- غ -

61 - الغدير، للأميني، ط سنة 1397 هـ. ق. دار الكتاب العربي، بيروت.

62 - الغيبة، للشيخ الطوسي، ط سنة 1385 هـ ، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، العراق.

- ف -

63 - فرق الشيعة للنوبختي، ط الحيدرية سنة 1388 هـ. ق. النجف الأشرف، العراق.

64 - الفصول المختارة من العيون والمحاسن للشيخ المفيد، ط سنة 1381 هـ. ق. النجف الأشرف، العراق.

65 - الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ط الحيدرية سنة 1381 هـ. ق. النجف الأشرف، العراق.

66 - فوات الوفيات لإبن شاكر الكتبي، ط دار صادر، بيروت، لبنان.

67 - الفيض القدير في شرح الجامع الصغير، للمناوي.

- ق -

68 - قاموس الرجال، للتستري، مركز نشر كتاب، طهران، وط جماعة المدرسين، إيران.

69 - قصار الجمل للمشكيني، ط قم، ايران.

- ك -

70 - الكافي (الأصول) للكليني، المطبعة الإسلامية، ط سنة 1388 هـ ، و(الفروع) مطبعة الحيدري، ط سنة 1377 هـ ، طهران، إيران.
71 - كشف الغمة، للإربلي، ط دار الأضواء، بيروت، لبنان. والمطبعة العلمية سنة 1381هـ قم، إيران.
72 - كفاية الأثر، للخزاز، ط مطبعة الخيام قم، إيران.

- م -

73 - مثير الأحزان للجواهري، انتشارات الأعلمي، طهران، ايران.
74 - المجالس السنية للسيد محسن الأمين، ط سنة 1398 هـ.ق. ، دار التعارف، بيروت، لبنان.
75 - المحجة البيضاء للمولى محسن الكاشاني، ط انتشارات جماعة المدرسين، قم، ايران.
76 - مدينة العلم (مجلة)، السنة الأولى، ط قم، ايران.
77 - مروج الذهب للمسعودي، ط دار الأندلس، سنة 1965، بيروت، لبنان.
78 - المزار، لابن طاووس
79 - مسند الإمام الرضا (عليه السلام) للعطاردي، ط سنة 1406، مشهد، ايران.
80 - مصابيح الجنان للسيد عباس الكاشاني، منشورات دار الكتب العلمية في النجف الأشرف، العراق.
81 - المصباح للكفعمي، ط حجرية.
82 - معاني الأخبار للشيخ الصدوق، ط سنة 1361 هـ. ق. منشورات جماعة المدرسين، قم، ايران.
83 - معرفة تركيب الجسد للحسين بن أحمد التيمي
84 - مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي، المطبعة الإسلامية، ايران.
85 - المقالات الإسلاميين لأبي حسن الأشعري، ط سنة 1963م. مطبعة حيدري، طهران، ايران.
86 - مقالات والفرق لسعد بن عبدالله الأشعري، ط الحيدري سنة 1963م، طهران، ايران.
87 - الملل والنحل، للشهرستاني، ط سنة 1387هـ . ق. مصر.
88 - مناقب آل أبي طالب، لابن شهرآشوب، المطبعة العلمية، قم، إيران.
89 - مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابي فرج بن الجوزي، ط دار الآفاق الجديدة، سنة 1393م. بيروت، لبنان.
90 - منتخب الأثر، للطف الله الصافي، من منشورات مكتبة الصدر، طهران، ايران.

91 ـ من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق، ط النجف الأشرف، العراق وانتشارات جماعة المدرسين، قم، ايران.

- ن -

92 ـ نزهة المجالس للصفوري الشافعي، مطبعة المعاهد، القاهرة، مصر.
93 ـ نظرية الإمامة، أحمد محمود صبحي، ط دار التعارف سنة 1969م، القاهرة.
94 ـ نقش الخواتيم لدى الأئمة عليهم السلام للمؤلف، ط ايران.
95 ـ نور الأبصار، للشبلنجي، المطبعة اليوسفية، نشر مكتبة الجمهورية، مصر.

- و -

96 ـ الوافي بالوفيات للصفدي.
97 ـ وسائل الشيعة للحر العاملي، المكتبة الإسلامية، ط سنة 1385هـ ، إيران.
99 ـ وفاة الإمام الجواد، للسيد عبد الرزاق الموسوي المقرم، النجف الأشرف، العراق.

- ي -

100 ـ ينابيع المودة، للقندوزي الحنفي، ط سنة 1301 هـ . ق إسلامبول، تركيا.

المحتويات

ا

تقديم:.. 5

الفصل الأول: ممهدات

التخطيط.. في خدمة الرسالة: 12

الإمام السجاد عليه السلام في مواجهة الردة: 12

التركيز على قواعد ثلاث: 13

النهي عن الإذاعة: 15

الإذاعة.. وآثارها: 16

الهدف من المناظرات: 16

مـوازنـة:.. 17

خط الأئمة عليهم السلام.. في الأمة: 18

ما جرى في نيسابور خير شاهد: 18

لا بد من سياسات جديدة:.. 19

سؤال يطرح نفسه: 21

الثورة قبل أوانها خسارة ولو نجحت:............................. 21

الزيدية.. للاعتبار، لا للأسوة:....................................... 23

لا مجال للمجازفة: 24

الفصل الثاني: زلزال وإعصار في الأعماق

من خصائص الشيعة:.. 28

الاعتماد على العقل والفطرة: 28

الشيعة.. والإمامة:.. 29

الإمام المعجزة: 30

الزلزال من الأعماق: 31

حيرة الشيعة: 32

تمهيد الإمام الصادق للإمام الجواد عليهما السلام:............................ 33

والإمام الرضا عليه السلام أيضاً:.................................. 33

الإمتحان وفق المعايير: 36

الإمام الجواد عليه السلام والشيعة: 38

وللإمام الجواد عليه السلام موقف آخر أيضاً: 42

صغر سنه عليه السلام يغري بطرح الأسئلة:........................... 43

ثلاثون ألف مسألة!! كيف؟!:.. 44

الواقفة بعد الإمام الرضا عليه السلام:.............................. 46

الإمام الجواد عليه السلام ليس هو السبب:.......................... 47

بطلان استدلال الواقفة:.. 48

مصادر علم الإمام الجواد عليه السلام: 49

صلاحيات الإمام عليه السلام مع صغر سنه:........................... 51

ومن تجليات الأخطار الجسام أيضاً:................................. 53

تعظيم علي بن جعفر للإمام الجواد عليه السلام: 55

الفصل الثالث: عواصف وأعاصير تقتحمهم

عواصف.. وأعاصير تقتحمهم: 60

التشيع.. والحكام: 61

موقع الحكام في هذا الصراع:....................................... 62

المعتزلة : 63

طائفة الشيعة.. وموقعها: 64

الشيعة والعقل: 66

الشيعة في قلب المعترك:... 67

ماذا لو فشل الشيعة؟: 67

ماذا لو نجحت فرقة الشيعة؟:.. 69

استغلال صغر سن الإمام عليه السلام: 70

النتيجة الحاسمة:.. 72

الفصل الرابع: الإمامة.. في معرض الاغتيال

الإمامة.. في مضمونها العام:... 77

ركنان تقوم عليهما الإمامة:.. 77

الاهتمام بالنص: 79

الاهتمام بالعلم الخاص:... 80

وضوح النص:... 80

من هم الخلفاء الاثنا عشر؟!:.. 81

علم الإمامة طريق لإثبات النص: 85

اغتيال الإمامة: أو اغتيال الإمام: 86

المأمون نموذجاً:.. 87

اتق الله يا ذا العثنون: 88

مخارق، أو ابن مخارق: 89

استجابة دعائه عليه السلام: 90

اغتيال علم الإمامة: 91

خداع السلطة، وتقية الإمام عليه السلام: 94

الفصل الخامس: اللقاء الأول في بغداد

مما سبق:.. 98

الرقابة حذفت:.. 98

بغداد.. سجن أم رقابة:.. 99

استقدام المأمون للإمام الجواد عليه السلام:.. 101

أهداف استقدام الإمام إلى بغداد: 102

البازي الأشهب في اللقاء الأول:.. 104

هذا الحدث بين النقد والتحليل: 107

الحدث: 107

هل يلعب الإمام؟:.. 108

هل الإمام في بغداد، أم عند المأمون؟!: 110

لماذا رجع الخليفة عن الصيد؟: 112

صغر سن الإمام عليه السلام أطمعه:.. 113

ماذا لو لم يجب الإمام على السؤال؟!: 113

الرعب القاتل:.. 115

الفصل السادس: مناظرات.. أم مؤامرات!!

التجربة المأساة: 119

الزواج.. المؤامرة: 120

الحدث.. في نصه التاريخي:.................................. 121

وقفات مع الحدث: 128

العباسيون في الواجهة لماذا؟!:................................. 129

لا مجال لإحسان الظن بالمأمون:............................... 130

محاولة أخرى للمأمون: 131

التقديرات المأمونية سراب:.................................... 132

أخطر مؤامرة: 133

الناس يدركون سوء النوايا:.................................... 134

العقرب تعود من جديد:.. 135

يحيى بن أكثم أداة أيضاً: 139

الأسئلة تحريضية:.. 140

انحسار ظاهرة المناظرات:..................................... 141

قد يخدع السراب:.. 142

عقد ذنب البرذون:... 143

المولود المبارك:.. 144

شغف أهل بغداد بالإمام الرضا عليه السلام: 148

الفصل السابع: المعتصم: في أسلوبه الغبي، والجبان

الهم الأول للمعتصم: 153
للإمام أسلوبه مع أوليائه:... 154
التزوير المعتصمي:... 156
الظلم والظالمون: 157
نعم القادر الله:.. 159
متى الفرج؟:.. 160
الأسلوب الجبان:.. 161
السبب المباشر للاغتيال:.. 162
الوسيلة.. والأداة: 163
كيف استشهد عليه السلام: 165
كلام العلامة المظفر: 168
اللمسات الأخيرة:.. 169
كلمة ختامية:.. 175
المصادر والمراجع.. 177
المحتويات 182

كتب مطبوعة للمؤلف

1 ـ الآداب الطبية في الإسلام

2 ـ ابن عباس وأموال البصرة (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة)

3 ـ ابن عربي سنيٌّ متعصب

4 ـ إدارة الحرمين الشريفين في القرآن الكريم

5 ـ الإسلام ومبدأ المقابلة بالمثل

6 ـ أحيوا أمرنا..

7 ـ أكذوبتان حول الشريف الرضي (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة)

8 ـ أفلا تذكرون «حوارات في الدين والعقيدة»

9 ـ أهل البيت عليهم السلام في آية التطهير (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة)

10 ـ براءة آدم عليه السلام حقيقة قرآنية (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة)

11 ـ بنات النبي صلى الله عليه وآله أم ربائبه (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة)

12 ـ بيان الأئمة وخطبة البيان في الميزان

13 ـ تفسير سورة الفاتحة

14 ـ تفسير سورة الكوثر

15 ـ تفسير سورة الماعون

16 ـ تفسير سورة الناس

17 ـ تفسير سورة «هل أتى» 2/1

18 ـ حديث الإفك

19 ـ حقائق هامة حول القرآن الكريم

20 ـ الحياة السياسية للإمام الجواد عليه السلام (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة)

21 ـ الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام

22 ـ الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة)

23 ـ خلفيات كتاب مأساة الزهراء عليها السلام 6/1

24 ـ دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام 4/1

25 ـ دراسة في علامات الظهور والجزيرة الخضراء

26 ـ دراسة في علامات الظهور

27 ـ رد الشمس لعلي عليه السلام

28 ـ زواج المتعة (تحقيق ودراسة) 3/1

29 ـ الزواج المؤقت في الإسلام (المتعة)

30 ـ سلمان الفارسي في مواجهة التحدي

31 ـ سنابل المجد (قصيدة إلى روح الإمام الخميني رحمه الله)

32 ـ السوق في ظل الدولة الإسلامية

33 ـ الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة

34 ـ الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله 16/1

35 ـ صراع الحرية في عصر الشيخ المفيد رحمه الله

36 ـ ظاهرة القارونية من أين وإلى أين؟

37 ـ ظلامة أبي طالب عليه السلام

39 ـ ظلامة أم كلثوم

40 ـ عاشوراء بين الصلح الحسني والكيد السفياني

41 ـ علي عليه السلام والخوارج 2/1

42 ـ الغدير والمعارضون (الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة)

43 ـ القول الصائب في إثبات الربائب

44 ـ كربلاء فوق الشبهات (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة)

45 ـ لست بفوق أن أخطئ من كلام علي عليه السلام

46 ـ لماذا كتاب مأساة الزهراء عليها السلام

47 ـ مأساة الزهراء عليها السلام شبهات وردود 2/1

48 ـ ماذا عن الجزيرة الخضراء ومثلث برمودا؟!

49 ـ مختصر مفيد.. (أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة) 11/1

50 ـ مراسم عاشوراء «شبهات وردود» (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة)

51 ـ المدخل لدراسة السيرة النبوية المباركة

52 ـ المسجد الأقصى أين؟

53 ـ مقالات ودراسات

54 ـ منطلقات البحث العلمي في السيرة النبوية

55 ـ المواسم والمراسم

56 ـ موقع ولاية الفقيه من نظرية الحكم في الإسلام

57 ـ موقف علي عليه السلام في الحديبية

58 ـ نقش الخواتيم لدى الأئمة عليهم السلام

59 ـ الولاية التشريعية

60 ـ ولاية الفقيه في صحيحة عمر بن حنظلة